ألقيت في ذي القعدة ١٤٤٧

سكون نفس

تقديم

أناهيد بنت عبيد التميمي

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ} تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزّوجلّ-، فما ظهرلكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفرالله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

- **المقدمة وأهداف الدورة:**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. نحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ونسأله بمنه وكرمه أن يجعل هذا الاجتماع اجتماعاً مرحوماً، ويجعل تفرقنا بعده تفرقاً معصوماً؛ اللهم آمين.

نلتقي بإذن الله اليوم وعلى مدى أربع لقاءات لنناقش هذا الموضوع المهم، خاصة في هذه المرحلة التي تمر بها بلادنا؛ موضوع "**سكون نفس**". نريد من وراء هذا الموضوع أن نطلب حاجة من الحاجات الإنسانية ونتلمسها، ونتلمس طريقها، ونعرف ما هي؟ وكيف نصل إليها؟ السكينة التي مُدحت في كتاب الله ومُدحت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاشها الأصحاب الكرام بما تلقوا من الوحي.

هذه السكينة المسألة العظيمة تحتاج إلى :

- جهد لمعرفة طريقها،
- وإلى جهد للتدرّب عليها،
- وإلى جهد لنشر مفاهيمها في المجتمع.

فنحن نرجو من الله أن يتم لنا هذا الأمر؛ أن نفهم هذه السكينة، وأن نصل إلى طريقة عملية نتدرب فيها على الطريقة للوصول إلى السكينة، ويكون ناتج بذلنا هذا نشر هذا المعنى في المجتمع.

وهنا أود أن أؤكد أن الدورة ساعتين إلا ربع؛ فهذا إذا كان كلاماً من طرف واحد سيأتي بالملل، خصوصاً ونحن عن بُعد. ومثل هذه الدورات الحقيقة الأولى بها أن تكون تفاعلية حتى لو كانت عن بُعد؛ فالبُعد نعمة من ربنا قد أنعم الله بها علينا، لكن لكي نصل إلى نتيجة بإذن الله -نتيجة كبيرة و جيدة- لابد أن يكون هناك تفاعل. وعلى ذلك، ستكون الدورة في خلالها -إن شاء الله - مجموعة طلبات وبعض الأمور التي تحتاج منكم مشاركة وكتابة؛ فعلى ذلك إن شاء الله يكون الأمر مشتركاً بيننا في هذه الجلسة، وبإذن الله تتضح الرؤية أثناء التطبيق.

- **المقدمة الأولى: الغنى بالوحي:**

نبتدئ أول ما نبتدئ بأمر غاية في الأهمية، ولا زلنا نكرره ونتعبّد الله به ونرجو أن يكون في موازين حسناتنا؛ هو يقيننا بأن الله لما أرسل هذا الرسول الخاتم، وأنزل هذا الكتاب العزيز، وحفظ هذا الدين العظيم، قد جعل فيه كل ما يحتاجه الناس، كل ما تحتاجه النفس الإنسانية، كل ما تحتاجه البشرية، كل ما تحتاجه الحضارات والأمم إلى قيام الساعة. انتفع من ذلك من انتفع وانصرف عن ذلك من انصرف. وهذا الأمر الأول لابد من التأكيد عليه؛ التأكيد على أن هذا القرآن العظيم وهذه السنة المباركة وهذا الدين المحفوظ بكل تفاصيل حفظه من القرون

الأولى المفضلة إلى يومنا هذا، كل هذا الميراث العظيم فيه ما يغني المسلمين المسلِّمين لرب العالمين.

فإذا بدأنا بهذه المقدمة، أننا واثقون من أن غنانا في هذا الدين، عرفنا أن رب العالمين -وهو الربّ الذي وصف نفسه بأنه رحمن رحيم- لابدّ أن ييسر - لطالبي الغنى بالقرآن وبالسنة وبالميراث العظيم - الوصول إلى أن يتغنوا بهذا الميراث العظيم. لابد أن ييسر لهم الوصول، لكن في شرط: **أن يكون هؤلاء المسلمون طالبين أن يصبحوا أغنياء بهذا الميراث**. فدائماً نسأل أنفسنا هذا السؤال:

هل نحن نشعر بالغنى؟ أننا أغنياء وأننا لا نحتاج أي أحد أو أي ثقافة أو أي أفكار، وأن كل خير يخدم الإنسانية و البشرية كلها موجود بين أيدينا؟

لكننا نحتاج أن نتجه إليه ونفكر فيه؟ وأن رب العالمين قد ييسر هذا الأمر لطالبيه.

ولذلك كرّر رب العالمين علينا في القرآن أنه يسر الذكر: {فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر ١٥]؟ هل من طالب علم يُعان عليه؟ كما يقول أهل العلم: "لأنه لا يُعان إلا من طلب".

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر ١٧]؛ دعوة إلهية متكررة تكررت أربع مرات؛ هل من طالب علم أو متعظ يتدبر معاني هذا القرآن وهذا الذكر؟ والذكر هنا يشير إلى كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُعان على ذلك؟ فهذا إشارة إلى أن الأمر ميسّر لمن طلبه. هذه المقدمة الأولى؛ عندنا أمور كثيرة نحتاجها في حياتنا وقد يسرّها رب العالمين لنا، موجودة ونحن بها أغنياء، نستطيع أن نضبط

كل شيء في حياتنا من خلال هذه النصوص التي حُفظت و بقيت وتوارثها جيلاً بعد جيل.

وأنا أريد منكم أن تبنوا مختصرها من أجل أن نبني عليها مابعدها. ثم نأتي للمقدمة الثانية.

- **المقدمة الثانية: النفس من عالم الغيب:**

إذا كنا مطمئنين أن هذا الحق العظيم فيه كل ما نحتاجه، نزيد ونؤكد الآن أن **أهم وأعظم ما نحتاجه هو ما يتصل بنفوسنا الخفيّة علينا**؛ لأن أعظم ما في القرآن هو الغيب. وهذا الغيب فيه الخبر عن الله، الخبر عن صفاته عز وجل، الخبر عن أفعاله عز وجل. وهذه النفس من أمر ربي؛ {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء ٨٥] فلنتصور هذا الأمر العظيم؛ كيف هذه الروح التي هي من أمر ربنا العظيم، كيف رب العالمين الذي خلقها وأخبرنا أنها سرّ من أسرار أفعاله، أرشدنا إلى الطريقة التي نتعامل بها مع هذه النفس.

نحن الآن نشعر أن الوحي قد أغنانا غاية الغنى.

هذه المقدمة الأولى، تأتي المقدمة الثانية خاصة في الأمور التي تتصل بالغيب: من أفعاله عز وجل و ممّا أعطى لهذا الإنسان وخصّه به، ومن ذلك موضوعنا: موضوع النفس.

وكيف أن هذه النفس التي بين جنبينا، التي أصح الأقوال في ماهيتها هو **اسم يُطلق على حالة اتصال الروح بالجسد**، والله أعلم. هذه الروح التي بين جنبينا سر علينا؛ سر ما نفقهه، لكن ربنا العظيم قد أخبرنا في كتابه وفي كلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن الطريقة التي بها نتعامل مع هذه النفس. فهي بكل تفاصيلها أمر غيبي محجوب عنا سرها، نقصر عن إدراك كنهها وحقيقتها، وما أوتينا من العلم إلا قليلاً في الأمور المحسوسة، وهذا لا شيء بالنسبة إلى علم الله. فلا تظن أيها العبد الضعيف أن شيئاً لا تدرك كنهه تستطيع أن تُصلحه وتنقذه وتخدمه؛ لا، لا تظن هذا. بل الواجب عليك في كل شيء، وخاصة فيما يتصل بالغيب، أن يكون شأنك الإغتناء بالوحي، -أن تستغني بالوحي -.

مختصر الكلام أن هذه النفس التي بين جنبينا لا يغرك أنها بين جنبيك فتظن أنها من عالم الشهادة؛ هي صحيح بين جنبيك ، **لكننا رغم شدة قربها هي شديدة الغموض علينا، نجهلها جهلاً تاماً**. ومن ذلك ما سنناقشه الآن؛ مما يؤكد هذا أننا -نحن هذه نفسنا التي بين جنبينا- لها أحوال لا نستطيع أن نفهمها ولا نستطيع أن ندرك تفاصيلها، ومن ثم المفروض أننا نُسلّم للوحي، نحن مسلّمون والحمد لله رب العالمين. ومن هذا يُطلق علينا اسم الإسلام المبني على الاستسلام. لكن في أمور الإنسان قد يتصل بها بطريقة يظن نفسه أنه مدركها، يعرفها، يفهمها؛ فنحن نريد بهذه المقدمة أولاً أن نتفق أنه: ترى **نفسك التي بين جنبيك من عالم الغيب وليس من عالم الشهادة، ولها أحوال الله أعلم بها.**

ولتأكيد هذا المعنى، سنتدارس سوياً **<u>الآية (٤٢) في سورة الزمر</u>**. أود منكم أن تنظروا للآية، وتفتحوا تفسير السعدي في "الباحث القرآني" أو أي برنامج متوفر لكم. واضح من مجرد قراءة الآية -حتى قبل أن نقرأ تفسيرها- أن فيها سراً من أسرار النفس الإنسانية و لما نقرأ التفسير يتضح ذلك.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: يخبر تعالى أنه المتفرد بالتصرف بالعباد، في حال يقظتهم ونومهم، وفي حال حياتهم وموتهم، فقال: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت.

وهنا يؤكد الشيخ -عشان لا يحصل اختلاط علينا- يقول: "وإخباره أنه يتوفى الأنفس وإضافة الفعل إلى نفسه لا ينافي أنه قد وُكّل بذلك ملك الموت وأعوانه كما قال تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ}".

لماذا أُضيف الفعل لله مرة وللملائكة مرة؟ يقول: "لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه باعتبار أنه الخالق المدبّر، ويضيفها إلى أسبابها باعتبار أن من سننه تعالى وحكمته أن جعل لكل أمر من الأمور سبباً" هذا الحمد لله واضح .. واضح، مرة يضيفها إلى نفسه ومرة يضيفها إلى السبب.

وقوله: " {وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} وهذه الموتة الصغرى، أي: ويمسك النفس التي لم تمت في منامها، {فَيُمْسِكُ} من هاتين النفسين النفس {الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ} وهي نفس من كان مات، أو قضي أن يموت في منامه.

{وَيُرْسِلُ} النفس {الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} أي: إلى استكمال رزقها وأجلها.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} على كمال اقتداره، وإحيائه الموتى بعد موتهم، وأيضاً يتفكرون في هذه الروح؛ هذه الروح التي بين جنبيهم ما يدرون هي فين تذهب؟ ما يدرون عن حقيقتها!

الله يمسك هذه النفس لما تنام، فإذا كانت هذه الروح قد كُتب أنها تموت في منامها ما ترجع، وإذا كُتب أنه لازال لها عمراً تعود. سبحان الله! هذا الأمر استشهدنا به لأجل تصوّر أن هذه الروح التي بين جنبينا متعلقة بالبدن تعلقاً ما نفهمه ولا ندركه؛ كيف هذه الروح تخرج ويبقى الجسد يقوم بأفعاله؟ ما مقدار تعلقها به؟ الله أعلم.

فالمقصود أن هذه النفس -لأن النوم كأنه أخو الموت- الإنسان وهو نائم يبطل تصرفه بحواسه؛ يمسك التي قضى عليها الموت فلا يردها إلى البدن إلا يوم القيامة، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى. فلتتفكر في كيفية تعلق هذه الأرواح بالأبدان، وفي توفي الله عز وجل لهذه الأرواح "النفس" سبحان ربنا العظيم.

أردنا من هذا النقاش أن نصل إلى نتيجة مهمة: أن **هذه النفس "سر" الله أعلم بحالها، فلن يصل الإنسان أبداً إلى صلاحها وراحتها وفلاحها وسكونها وهدوئها إلا لما يكون متصلاً بالغيب اتصالاً مناسباً عن طريق الوحي.**

قدّمنا في المقدمة الأولى أن الله أغنانا بالوحي، وفي الثانية أن النفس من الغيب ومن ثّم فهمها بالوحي.

نحن ننام، ونقول للنائم "كأنك ميت"؛ نعم، إن الله يقبض روحه. لماذا الأعضاء لا زالت فاعلة؟ الله أعلم بحفظه لهذا البدن. لو بالعقل، سنقول لا يمكن أن تفارق الروح البدن؛ لأنك لو وضعت قطعة لحم في مطبخك لمدة ست ساعات تصيبها العفونة، وهذا البدن بكل أجهزته ينام الإنسان ساعات وكل شيء فيه يبقى عاملاً.، كيف؟ الله أعلم، وكلنا نعرف قصصاً عن أشخاص ناموا ولم يستيقظوا؛ شواهد تدور حول هذه الحقائق الغيبية التي لها أسرار.

- **المقدمة الثالثة: السكينة مطلب فطري:**

المقدمة الثالثة تقول: إن من أراد لهذه النفس أن تكون بأحسن أحوالها فعليه بهذا الوحي. وهنا سنؤكد أمر مهم وهو أنك إذا أردت ان تكون بأحسن احوالك فعليك بالوحي ، أن الناس جميعاً بفطرتهم يسعون إلى هذا المطلب؛ يسعى الناس بكل سبب يملكونه إلى راحة البال، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر. لكي تحصل على هذا، مالك إلا الوحي. لا يوجد عاقل يقول "أنا أريد الشقاء"؛ لايمكن فهذا أمر فطري فما دام هو مطلباً، لن تجده إلا في الوحي.

ولذلك من أعجب ما نسمع لما يقول الله عز وجل: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾} [الانفطار١٣-١٩]، في اي دار يكون الأبرار والفجار؟ انظروا في تفسير الشيخ السعدي: "المراد بالأبرار هم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، الملازمون للبر في أعمال القلوب وأعمال الجوارح. جزاؤهم النعيم في القلب والروح

والبدن، في دار الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار القرار" سبحان الله! الأبرار في نعيم، وهو مطلب إنساني دائم.

لو بحثت في التفسير ستجدين أن ي المحققين من المفسرين: يقولون "**لا تظن أن النعيم مقصور على الآخرة، بل في الدور الثلاثة**". وبالمقابل، الفجار في جحيم: عذاب أليم في دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار.

إذاً هذه المقدمة الثالثة أن كل النفوس تسعى للسكينة والإنشراح وهي محصورة على الوحي، هي مطلب إنساني ولا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الوحي، فلا تطلب إلا من الوحي، فلا نعيم إلا نعيم النفس ولا عذاب إلا عذاب النفس.

إذًا المقدمة الثالثة: هذا المطلب لن تجده إلا في الوحي فلا تطلب إلا من الوحي.

▪ المقدمة الرابعة كيف نصل؟ (تأوّل القرآن):

وصلنا للنتيجة المهمة: ما دام مطلبي في الوحي، وان الغنية في الكتاب والسنة ونحن كثيرًا ما نكرر {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد٢٨] كيف سأصل إلى هذا المعنى من الوحي لكي أصل لهذا المعنى؟

لكن أصبح غنيًا بالقرآن؟؟ هل بفتح القرآن وقراءته فقط؟ أم بفهم الآيات وقراءة تفسيرها دراستها؟

أريد أن تسكن نفسي خصوصاً في حالات الخوف؟

ونحن نعلم أن الله قد أهلك أقواماً بالصيحة بمعنى أن هناك أقوامًا سمعوا أصواتًا عالية قطعت نياط قلوبهم وقد ذكر الله هذا عن قوم صالح (مدين)، وعن قوم شعيب، وعن قوم لوط عليه السلام

فأنت تسمع عن قوم صالح أنهم {فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} أي أصبحوا ساقطين على وجوههم وان قوم شعيب أهلكهم الله بالصيحة التي أتت من فوقهم، معنى ذلك ان الخوف ممكن أن يوصل الإنسان إلى هذه الحالة من الخوف، مثلًا أنت تقرئي في سورة هود: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود ٩٤]. لهذه الدرجة هذه تتأثر النفس بالخوف؛ لدرجة أنها لما تسمع صوت عالي ينقطع نياط قلبها، وهذا المعنى مذكور ، ومصور تصويرًا دقيقًا، كيف يمكن أن القلوب تبلغ الحناجر، كيف ممكن أن تبلغها هذا وسف لشدة الخوف والفزع، وكأن الحالة النفسية التي يصل بها الإنسان ان القلب يضطرب اضطرابًا وينبض بشدة حتى أن نبضه هذا كانه في حنجرته، وقد ذكر بعض المختصين – وانا لا أشهد على هذا هو مما قاله بعض المختصين في الطب – أن القلب يتحرك حقيقة ولهذا ممكن أن ينقطع الوتين منه بسبب الخوف والله أعلم

الشاهد الآن ان الخوف يجعل القلب يضطرب اضطرابًا تامًا يؤثر على هذا البدن، الله تعالى يقول : {وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ}. يضطرب القلب حتى يشعر الإنسان

بنبضه في حنجرته، وقد ذكر - والله أعلم بصحة ذلك -أن القلب يتحرك من الخوف حتى ممكن تتأثر النياط.

وهذا كله يدل على أن الإنسان لابد يكون عنده ما يثبته ويسكّنه؛ {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} [الأحزاب ١٠] **هذه الأحوال النفسية والتي تحولت إلى أحوال بدنية تأثرت بسبب طريقة تفكيروظنون موجودة في النفس.**

ماذا أفعل لكي تسكن نفسي وتهدأ؟ وأنا أعرف أن نفسي يمكن أن تضطرب عليّ خصوصًا مع الأحوال التي يمكن أن تمرّ على الإنسان؟ وضربنا مثال للصيحة الخوف الذي جعل الأبصار تزيغ والقلوب تبلغ الحناجر؟

كل هذه معاني تدل على شدة التأثر، ماذا أفعل؟

هل أقرآ الآيات؟ أم أذهب لدرس التفسير؟

ماذا أفعل؟

نأتي إلى جوهر المقدمة الرابعة يضطرب القلب حتى يشعر الإنسان بنبضه في حنجرته: المعاني التي سنذكرها ليست غريبة بل هي معروفة مفهومة، لكن المهم هو أن "يتأوّلها" الإنسان. من أين أتت هذه الكلمة؟

نحن ستكون لنا وقفة طويلة حول هذا الأمر لكن نحن اليوم نريد جمع كل المقدمات ونعطي النماذج ونفهم أكثر هذا المعنى.

النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر ١]، أكثر صلى الله عليه وسلم ﷺ، من التسبيح والحمد والاستغفار، وكان النبي، ﷺ، يقول في ركوعه وسجوده "سبحانك اللَّهُمَّ رَبَّنا وبحَمْدِك، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي" قالت عائشة، رضي الله عنها، في التعليق على هذا: يتأول القرآن. كأنه، ﷺ، لما سمع أمر الله بالتسبيح والاستغفار وتبين له هذا الأمر أخذ ينفذه في واقعه، أخذ يعيش معانيه المعايشة القلبية التي تكون نتيجة أمور سنذكرها.

المقصد أن علاقتنا بالقرآن، علاقتنا بالوحي لا بد أن تكون علاقة من يفهم أنه مخاطب بهذا الخطاب، عليه أن يعيش معانيه في واقعه، وليس يحفظ ألفاظه ولا يتقن هذا الحفظ، هذه مرحلة مطلوبة؛ أن يقرأه ويجيد قراءته ويحفظه، كل هذا مطلوب لكن لأجل أن يصل فينظر إلى كل شيء من خلال هذا القرآن. هذا مطلب عظيم، وسيأتينا شيء من تفصيله في لقاء الغد، لكن اليوم نريد أن نجمل المسالة.
لو تصورنا معنى يتأول القرآن؛ يعني ينفعل به، حتى أنه في صلاته يأتمر به، وهذه الجملة المختصرة كأنها تدلنا على منهج يجب ان نعيش به، فالعلاقة مع الوحي؛ الكتاب والسنة، لا تقف أني أجيد قراءته وأحفظه وأراجعه، بل لا بد من هذه المرحلة التي هي غاية في الأهمية. لذا سنناقش هنا ما سنعتبره تكميل لكل المعاني التي مضت.

الوحي منشأ الحضارات:

قدمنا بأربع مقدمات، ونود أن نجمل كل الكلام الماضي في هذا الكلام المهم عن الوحي، هذه الكلمة المهمة. لما ننظر للقرآن والسنة، لما ننظر لهذا الدين يجب ان نعطيه هذه الصفة، كل هذه الخيرات التي أعطانا إيها رب العالمين، يجب أن نتصورها على حقيقتها وهي أنها الوحي، الوحي حقيقة حصلت في الكون وهي ضرورة إنسانية، الوحي أعظم نعمة تلقاها البشر في الأرض، لا نتعامل معها بصورة كأننا نفصلها عن حياتنا.

الوحي أتى لرسم خريطة للإنسان، كأن الإنسان يريد لنفسه أن تطمئن وتهدأ لا بد من خريطة حتى يصل إلى هذه الحال، من سيرسم له هذه الخريطة؟ الوحي. وعلى ذلك لما يسير الإنسان بدون أن يتلقى الخريطة سيضيع، سيتخبط في الظلمات، ولا بد أن نعرف انه **لا يوجد خير في الأرض إلا من الوحي أو بقاياه**. وليس غريبًا أن تتصور أنه لا توجد حضارة، -حتى لو كانت كافرة- إلا منطلقها الأول هو الوحي. ولا تتصور ان العقل البشري يمكن أن يسلك كمسالك في التطور العمراني أو غيره لولا التوجيهات التي جاءت من عند رب العالمين عن طريق الوحي. الوحي هو الذي علّم الإنسان وأرشده إلى الحبل الممدود من السماء، أجاب على أسئلة الفؤاد فسبّب للنفس السكون والطمأنينة، الوحي هو الذي علّم الإنسان تنظيم العلاقات من التناسل والزواج والميراث، إلى آخره. الوحي هو الذي جاء فطمأن الفطرة التي مفطورة عليها النفس فأرشدها أن هذا حلال وهذا حرام، وإلا لاضطربت النفس

غاية الاضطراب. ونحن نرى الناس مع اختلاف مللهم ونحلهم الأصل فيهم أن هذه الأنظمة متقاربة جدًا إشارة إلى أنه يوجد بقايا من الوحي، مثل الزواج وغيره، حتى أن الوحي هو الذي علم الإنسان أصل اللغة وضروب الصناعة والفلاحة؛ لما نقرأ قصص الأنبياء نقرأ أن هذا الوحي هو الذي ألان الحديد لداوود، عليه السلام، وبه علم صناعة الدروع، لذلك في تفسير ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ قال بعض أهل العلم أنها صفة خاصة بداوود، وقال بعضهم أن الله علمه كيف يسلط النار على الحديد ومن ثم توارث الناس هذا الأمر، ومن ثم تعلم الناس كيف يصنعون الدروع السابغات، وبالوحي تعلّم سليمان كيف يستعمل النحاس فصنع منه أدوات وآلات، وصنع نوح، عليه السلام، السفينة، وهي حقيقة في التاريخ بوحي من الله وتعليمه.

بهذا نصل على أن **منشأ الحضارة البشرية كلها، سواء ما كان ماديًا أو معنويًا كان منطلقا من الوحي**، ثم ألهم الله الإنسان أن يطور ما يطور، وان يكتشف سننه من الوحي، والبداية دائمًا من الوحي، وهذا الكلام يجعلنا ننبذ فكرة الإنسان البدائي وكمل هذه الأفكار الباطلة، فالإنسان نزل من السماء يعلم. إذا تصورنا أن الحضارة المادية أصلها من الوحي، والإنسان شرفه ليس بالمادة، بل بروحه ونفسه، لأن هذه الأشياء المادية، ومنها بدنه المادي، ستأكله الدود، وتبقى روحه التي سكنت البدن إما تكون رفعته وإما قيدها البدن، ستبقى هي التي تسكن بدنًا جديدًا له صفات جديدة لا تشارك الصفات القديمة إلا في الهيئة الظاهرة. فهل نتصور أن يكون غاية الوحي شيء أهم من النفس؟ وهل نتصور أنه يوجد شأن لهذه النفس

أعظم من سكونها وطمأنينتها؟ فلا يمكن أن نتصور أن يكون معنى سكون النفس معنى ثانوي في هذه الشريعة وهفي هذا الدين، بل سكون النفس معنى أصيل. لذلك من بداية الإنسان {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} **لا خوف ولا حزن، وهل سكون النفس إلا انصراف الخوف وزوال الحزن؟!** تصور أن الهدى النازل من السماء، الوحي الذي له هذا السند العظيم من الله إلى جبريل، ومن جبريل إلى نبينا محمد، ﷺ، وإلى الأنبياء جميعًا **غايته ألا تخاف ولا تحزن، غايته أن تسكن نفسك؟** الجواب: نعم، لذلك {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}. الوحي كان ولا يزال نعمة على الإنسان ورحمة، لو نبذته البشرية سيصبح الإنسان في متاهات وفي اضطراب كما نرى ونسمع، لا يستطيع الإنسان أن يخطو خطوة واحدة.

ومن هنا لما تقرأ الواقع القريب وليس البعيد، وترى البعد عن الوحي، وكيف يمكن أن يتصور الإنسان بطغيانه أنه يمكن أن يمحو ويذهب ما شاء متى ما شاء! لذلك لا يمكن أن يبنى مجتمع وتصلح مجتمعات وتتكون بيئات خيرة طيبة بدون الوحي. وكلما قرأنا سورة الكهف نتفكر في المقارنة بين رجل يملك جنتين لكن ليس على الهدى، وبين ملك أعطي من الأسباب التي يسير بها في الأرض وهو على الهدى ويستمد من الوحي. قارن هذا الذي له جنتين ليس أكثر من ذلكن كيف أن نفسه انقلبت عليه لعدم استهدائه بالوحي، وكيف أنها كلها جنتين لا أكثر، فشعر بالكبر ورأى أن يوم القيامة لن يأتي ولو أتى سيكون، وبين هذا الملك الذي ملك وهو مؤمن

على قواعد من الوحي {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا}. فتصور الفرق العظيم بين نفس هذا ونفس هذا! **والسبب وجود وغياب الوحي**، ولذا نرى أن من آثار رحمة الله هذا الوحي، مدّ الله لنا وأعطانا، وهذا من آثار عنايته بنا ورحمته، مدنا بهذا الوحي العظيم؛ بعث الرسل وأنزل الكتب، فكان على الإنسان أن يضع نفسه في الطريق الواضح فينجو.

لذلك من اللطائف ما نقرأه في أول سورة النجم {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} هذا قسم وهذا جوابه، ما العلاقة بين القسم بالنجم والإشارة إلى الرسول، ﷺ؟ هنا نقرا تفسير الشيخ السعدي في بيان هذه العلاقة، وهذا الأمر يعيننا على التحقق من هذه النقطة الأخيرة التي نتكلم عنها في مسالة الوحي.

ما العلاقة بين القسم والمقسم عليه؟

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "يقسم تعالى بالنجم عند هويه أي: سقوطه في الأفق في آخر الليل عند إدبار الليل وإقبال النهار، لأن في ذلك من آيات الله العظيمة، ما أوجب أن أقسم به، والصحيح أن النجم، اسم جنس شامل للنجوم كلها، وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي الإلهي، لأن في ذلك مناسبة عجيبة، فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء، فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء، لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم".

يشير هنا إلى معنيين:

- أن النجوم في السماء نور وزينة يهتدي بها الناس،
- والوحي زينة للأرض والناس به يهتدون.

فبهذا نتصور أن الرسل وضعوا لنا معامل الطريق لكي نسير وننجو ولكي تهدأ نفوسنا وتثبت، لكيلا يحصل الاضطراب. فنؤكد أن سكون النفس بمعنى أنها تكون صحيحة وساكنة، لأن غير الساكن والمضطرب يكون مريضًا، يكون في حال غير سوية، لكن الساكن صحيح، لا أن نتصور أن السكون، **الصحة النفسية مطلب شرعي من أجله أرسل الرسل و أنزلت الكتب، فكيف لا نطلبه من الوحي؟!**

كان لا بدّ من هذه المقدمات حتى لما نقول أن سكون النفس لا يكون إلا بالوحي ويجب أن نأخذ بالوحي، يكون الأمر واضح بالنسبة لنا.

بعد كل هذه المقدمات نتذكر شيء ذكرناه فيما مضى؛ أنه توجد طريقة للأخذ من الوحي وعيش هذه المعاني **وهي أن نتأوّل القرآن**. التأول ليس معناه التفسير ولا الحفظ، بل هذه مرحلة بعد كل هذا، بعد التفسير والقراءة والفهم والحفظ، خلال ذلك لا بد أن نتصور أن كل الوحي إرشادات لهذه النفس لكي تسكن من اضطرابها وتهدأ من انفعالها وينصرف عنها شر عدوها، وهذا شيء مهم جدًا، أن تشعر أنه يوجد عدو لا يريد لهذه النفس أن تسكن.

نفكر بطريقة تسهل علينا هذا الأمر، يسهل علينا **معنى أن نتأول القرآن، هل معناه أن أعمل به؟** نعم، لكن هذه الكلمة لا تكفينا، فكلمة العمل به لو تصورتها إرشاد عملي يقال لك افعل واترك كذا فكأننا نختصر شيء ضخم. نأتي بمثال يكون فاتحة لما سنناقش خلال الأيام القادمة.

من أهم المعاني التي يحصل بها **سكون النفس هو الشعور بكفاية الله**، لأن عندي شيء يخيفني فيقال لك الله كافيك، فتصور ماذا تحتاج لكي تصل إلى هذا الشعور، فهو ليس عمل بالجوارح، إنما **هو عقيدة قلبية يأتي وراءها عمل قلبي**، تعتقد في الله ما يجب أن تعتقده من الكفاية، كما سيأتينا الكلام عن تفاصيل هذا المعنى، ثم **إذا حصل اضطراب وحصل خوف عمل قلبك بموجب هذا اليقين**.

- تصور علم يتعلم الإنسان،
- فهم يفهمه الإنسان،
- نقاش يناقش الإنسان به نفسه،
- ويعيد ويكرر في هذه المعانين يطلب من نفسه أن تتيقن،
- يرد شر الوساوس التي يمكن أن يسمعها من عدوه الشيطان الرجيم، أو شياطين الإنس والجن،
- ثم إذا جاء الموقف الذي فيه اضطراب طالب نفسه أن تنفعل بموجب هذا العلم الذي تعلمه.

فلنتصور حجم المسؤولية عن أنفسنا، فلنتصور حجم المسؤولية عن صحة أنفسنا، لابد من جهد فيها. وهذا الحبل الممدود من السماء إلى الأرض من كلام رب العالمين وكلام رسوله الكريم، المحفوظ على مدى السنين؛ جاء لكي لا تضطرب هذه النفس، لكي تكون هذه النفس ساكنة، لكي تكون هذه الصحة باقية. نفسك أمانة أُعطيت لك، سكنت هذا البدن، عليك أن تحفظ صحتها أكثر من حفظك لصحة البدن. ولا تظن أن لا نهتم بصحة البدن، فهو الدابة التي تحمل هذه النفس، لكن **ليس منطقيًا أن تنتشر الثقافة الطبية البدينة وتتأخر الثقافة للصحة النفسية**. وهذه النقطة التي سنتكلم عنها هي آخر ما سنناقشه اليوم وستقابل كل ما ناقشناه على الطرف الثاني.

كل هذه التأكيدات على الوحي وأهميته وخطورته والاستغناء به من أجل ماذا؟ من أجل أننا قد **أصابنا الوهن، وأصابتنا الهزيمة النفسية** ودخل علينا ما لم نكن ننتظره، ما لم نحسب حسابه، ليس الأعداء بأبدانهم، لكن الأعداء بأفكارهم إلى درجة أنهم بثقافتهم وبالحمولة الفكرية لهم، وبخبرتهم الناقصة الفاسدة من فلاسفتهم وممن كان منهم، تدخلوا وقالوا النفس تصبح صحيحة لو فعلتم كذا وكذا، والنفس تصبح مريضة لو فعلتم كذا وكذا، وعرفوا المسلمين الذين عندهم حل الله المتين، الذين عندهم كلام خارق لهذه النفس، أتوا يعلمون المسلمين كيف يتعاملون مع هذه النفس!! لا تستهن بهذه الفكرة وتعتبر أنها نوع من صراع الحضارات، بل الأمر أكبر من ذلك. **هذا زخرف القول** الذي يوحيه بعضهم لبعض

بحيث يتنحى الوحي عن أهم مهمة له. الوحي حاكم على حياة الإنسان كلها، ونحن به أغنياء، والحمد لله، فهو حاكم على بيعك وشرائك، حاكم على زواجك وذريتك، حاكم على ميراثك، حاكم على مجتمعك، حاكم على الحضارة، **لكنه في أصل الأمر حاكم على هذه النفس**، حاكم على ما يصلحها وما لا يصلحها، حاكم على شأنها. هذا هو الأصل، وكل الباقي فروع ناتجة عن حكم الوحي على النفس. فلما يقال لنا نحن نستطيع أن نقدم صياغة عن النفس وعما يصلحها وما ينفعها ويضرها ليست مستمدة من نور الوحي، فلا بدّ أن تشعر أنها مصيبة حلت على المسلمين وخطرًا قد داهمهم، لذلك سمعنا كل هذه الكلمات التي تتكلم عن الوحي وخطورته وأهميته وأثره، والنفس كيف أخبارها في القرآن من أجل ألا يدخل في قلبك شك أبدًا أن **هذا الوحي هو الطريق الوحيد لصلاح النفس وسكونها وهدوئها، و أنك مقصر غاية التقصير إذا طلبت طريق لسكونها وهدوئها غير هذا الطريق**، فقد أتعبت نفسك وأغضبت ربك ولن تصل إلى غايتك.

ما زال عندنا نفس السؤال، ماذا سنفعل؟ هذا كله كلام نظري نتفق عليه، فماذا نفعل؟ هذا ما أردنا أن نناقشه خلال هذه الدورة، وأكثر ما سنهتم به مفهوم **كفاية الله لنا.** أعتذر منكم على الإطالة في هذه المقدمة، هذه المقدمات كان لا بدّ منها حتى يحصل لنا تصور الخطر الحاصل لنا، غدا إن شاء الله نقسم لقاءنا إلى قسمين:

- **القسم الأول** ماذا نفعل لكي نصل؟ سنتكلم عن مسألة أن نتأول القرآن، أو كما سنعبر عنها ببض الألفاظ الأخرى التي ستوصلنا.
- **الجزء الثاني** هو التطبيق العملي، نناقش الآيات ونفهمها ونناقش شيء من كلام رسول الله، ﷺ، ما يجعلنا نعرف الطريق على سكون النفس عمليا. وهنا نؤكد أننا لا يمكننا أن ندعي أننا سنجمع هذا الأمر العظيم في ثلاث أو أربع لقاءات، لكن المقصود الإضاءة والإشارة التي من خلالها نصل، إن شاء الله، إلى فتح الطريق، وبإذن الله يستمر هذا المعنى ويبقى.

بناء على نظام الدورة تواصلنا محدود فكلما تناقشنا في مسالة سنعطي دقائق للقراءة لنتشارك في المسألة، نقرأ سويا لنصل بإذن الله. الحمد لله على أن يسر هذا الفرصة، نرجو من الله أن يكتب لنا الأجر والمثوبة وأن يجعلنا، على تباعد الأماكن، مجتمعين تستغفر لنا الملائكة، ويذكرنا الله، عز وجل، فيمن عنده، والحمد لله رب العالمين.

اللقاء الثاني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. نحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ونسأله بمنه وكرمه أن يجعل القرآن الكريم ربيعاً لقلوبنا، ونوراً لصدورنا، وجلاءً لأحزاننا وهمومنا، اللهم آمين.

نكمل اليوم بإذن الله ما بدأناه حول هذا الموضوع المهم؛ موضوع "**سكون النفس**". وهذا الموضوع غاية في التشعب في مناقشة تفاصيله، وغاية في الأهمية في حياة الإنسان على وجه العموم، وفي الفترات التي يمكن أن نعتبرها صعبة من حياة الإنسان.

سكون النفس وحصول السكينة لها، غاية ومطلب لابد أن يعتني الإنسان بتحصيله. وكنا في لقائنا الماضي قد أشرنا إلى مجموعة مفاهيم ابتدأت بالتأكيد على أن سكون النفس يناقش حاجة إنسانية ملحّة؛ وهي السكينة التي مدحها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وإذا مدحها الله ورسوله، لابد أن يكون قد أرشدنا الله سبحانه وتعالى ورسوله أيضاً إلى الطريق لتحصيلها، خصوصاً ونحن نعلم أن النفس مكمن الأسرار، خفيّة على الإنسان، يعلم حالها الرحمن؛ اضطرابها وسكونها، خوفها ورجاءها، إقبالها وإدبارها، أسرار ما يعلمها إلا الله عز وجل، الذي من أعظم أسمائه الرحمن الرحيم، فصفته الرحمة، ومن رحمته سبحانه وتعالى أرشدنا إلى الطريق للوصول إلى هذه الغاية.

ولذا نحن في هذا الباب تناقشنا في مجموعة أمور، وكلها طلبنا بها أن نصل إلى السكينة. للوصول إلى السكينة كان الواجب علينا أن:

١. **أن نعرف طريقها.**

٢. **أن نتدّرب عليها.**

٣. **أن ننشر مفاهيمها.**

هذا مطلب مهم، ماذا سنفعل له؟ ماذا سنفعل من أجله؟ نعرف طريقه، أرشدنا إلى طريقه الرحمن الرحيم. طيب، بمجرد أني أنا أعرف الطريق سأصل؟ الجواب: لا، لابد أن يكون هناك بذل للجهد، تعقّل للطريقة، وهذا ما نعبر عنه باختصار أنه "تدرب عليها". ثم إذا تدربنا عليها وكسبناها من فضل الله، بقي علينا الواجب الثالث وهو نشر مفاهيمها في المجتمع. يعني هذا مطلب السكينة؛ مطلب.. طيب أنا كيف أصل إليها؟ في طريق لها، لو عرفت الطريق ليس معناه إنك كسبتها، تحتاج إنه تتدرب على ذلك. طيب إذا وصلت أنا، الواجب إني أنا أنشر هذه المفاهيم للمجتمع.

وهذه الثلاثية غاية في الوضوح لما رب العالمين قال لنا: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾ [العصر ١-٣]؛ ما يكفي أن يؤمنوا، لابد ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، يكفي أن يكون الأمر لهم؟ لا، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ هذا الأمر كله (الإيمان، وعمل الصالح، والتواصي بالحق) يحتاج الصبر. فإذاً نعرف الطريق ونؤمن أن رب العالمين أرشدنا له، ونعمل به (نتدرب عليه)، ونتواصى به (ننشره في مجتمعنا)، ونحتاج في كل هذا إلى الصبر.

في خلال هذه اللقاءات نحن سيكون مقصودنا النقطة الأولى: **معرفة الطريق** لتحصيل سكون النفس، لتحصيل السكينة. أما التدريب عليها ونشر مفاهيمها، فهذه مسؤولية كل واحد منا، مسؤولية فردية.

مقدمات الوصول إلى الطريق:

بعد ذلك ناقشنا في اللقاء الماضي أربع مقدمات، وقلنا إن هذه الأربع مقدمات مهمة، وهذا لأجل أن ندل نفسنا على الطريق، فلازم تكون هذه الأشياء موجودة في نفسنا قبل ما نقول "هذا الطريق وهذه الحقائق":

المقدمة الأولى: الغنى بالوحي.

الشعور بالغنى بالوحي كما ورد في الحديث: " **ليس منَّا مَن لم يتغَنَّ بالقرآنِ** "، يعني يستغني به عن غيره. فهذا دليلنا على أنه يجب أن نكون أغنياء بالقرآن؛ جعل الله في الكتاب والسنة كل ما تحتاجه النفس البشرية. ودليلنا على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **ليس منَّا مَن لم يتغَنَّ بالقرآنِ** "، قال البخاري: "**يتغنى بالقرآن يستغني به عن غيره**". واتفقنا أن وصول لهذا الغنى ميسر لمن طلبه بصدق؛ إنه نقول القرآن غني لكن أنا ماني قادر أوصل؟ لا، هو ميسر لمن طلبه وصدق، وكما في آيات سورة القمر وقد مر معنا تكرارها ...

المقدمة الثانية: حصر المصدر في الوحي.

ما دام نحن نعلم أن الوحي غني وفيه كل ما يحتاجه الإنسان، وليس فقط ما تحتاجه.. يعني ما نحتاجه من جهة النفس، ثم في الحياة وفي الاقتصاد وفي بقية الجوانب نحن لن نجد ما نريد؟ لا، **هو غني بكل حاجات الإنسان**، بكل الحاجات الإنسانية. **هذه الثقة بالوحي**، ثم **لابدّ أن نرفض أي طريق آخر غير الوحي يكون طريقاً للوصول إلى السكينة**. لا، نحن ما نأخذ إلا الوحي. طيب لماذا؟ لماذا لا تنفتحوا على الثقافات؟ لماذا لا تسمعوا الآخرين في هذا المجال؟ **لأن النفس من عالم الغيب وليست من عالم الشهادة، ولها أحوال الله أعلم بها، ومفتاح**

صلاحها وسكونها إنما هو محصور في الوحي. لا سبيل لفهمها أو تقويمها إلا بالاستسلام لإرشادات خالقها. فهذا الباب - باب النفس وصلاحها وفلاحها وسكونها وراحتها- محصور على الوحي.

وهنا دائماً نردّد قاعدة - حتى لا يحصل أي إشكال - ويأتي أحد يقول: يعني أنتم لن تأخذوا الحضارة؟ ألست تنقلون دروسكم عن طريق "النت "الذي اكتشفه الغرب؟ وعن طريق "التايمز" الذي صنعه كذا؟ نعم، هناك قاعدة مهمة:

لما ننظر إلى **"إعمار الأرض"** فهو حق لكل مجتهد ونحن نستفيد منه ونضع عليه بصماتنا الثقافية لتي تخصنا ا- كما يعبرون- أما **"إعمار النفس"** فهو حكر على الوحي.

، إعمار الأرض حق لكل مجتهد؛ كل واحد يجتهد ويعمل في الأرض ما شاء ولن ننكر إعماره ،وسنستفيد منه على حسب ثقافتنا، **لكن المدح الحقيقي ليس إلا لإعمار النفس. أما إعمار الأرض فهو يأتي ويذهب**، ويمكن أن يأتي إعمار الأرض و يتصور الإنسان إنه هذا إعمار ويكون هو سببٌ لفسادها، وما علمنا أبداً أن الله مدح في القرآن أحدًا على إعماره للأرض، لكننا سمعنا مدحاً متكرراً لمن عمّر هذه النفس.

ولذا، لو رجعتِ مثلاً إلى **سورة الشعراء** ونظرتِ إلى الأنبياء، منهم هود عليه السلام وهو يخاطب قومه عاد الذين نعرف كيف أنهم فعلوا وفعلوا التي لم يخلق مثلها في البلاد، أنت لما تقرأي في **سورة الشعراء** تسمعين شيئًا من اللوم على هذه الحضارة التي فيها العبث: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ يعني تصلوا أن تجتهدوا ويكون منكم العمل في الأرض لكنه عبث! "الريع" الذي هو المكان المرتفع تضعون فيه علامة ﴿تَعْبَثُونَ﴾؛ يعني تبنون بناءً لا حاجة إليها مجرد لعب ولهو وإظهار للقوّة، وفي هذا تضييع للزمان وإتعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما يكون الناس في غنى عنه،

ومن ثم ينشغل الإنسان أو ينصرف عن الجدّ في العمل الذي يفيده ،وتنصرف الأموال في غير ما خُلقت لها من النظر للنفس والأهل ،ومن إيصال الحق لأهله و إلى آخره، على كل حال هو ليس موضوعنا، لكن دائماً لما نقرأ في سورة الشعراء ونصل إلى هذه الآية وما يشبهها في القرآن، يُتصوّر أن الله عز وجل لم يمدح في كتابه إعمار الأرض المطلق والبناء المطلق والأمور المطلقة، بل أتى هنا في سياق الذم، **لكنه مَدَح مطلقاً إعمار النفس بالوحي** وخدمة هذا الباب بكل الطرق. ولذلك لابدّ أن يكون هناك غاية؛ من إعمار الأرض وليس لمجرد العبث.

على كل حال حتى ما نتوسع في مكان ليس مقصودنا، نحن اتفقنا هنا أن المقدمة الأولى أننا نحن أغنياء بالوحي ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ))، والمقدمة الثانية كانت نحن نحصر مصدرنا في إصلاح هذه النفس في عالم الغيب وفهمنا الفرق بين إعمار الأرض وإعمار النفس.

المقدمة الثالثة: السكينة مطلب فطري.

وصلنا إلى أن هذا الموضوع الذي نناقشه - وهو السكينة أو السكون - ليس ترفاً أبداً، بل هو مطلب فطري. الشريعة حثت عليه ورتبت على الأعمال الصحيحة والسير افي الطريق الصحيح أن يكون الجزاء هو هذه السكينة. فالسكينة ليست ترفاً بل هو مطلب، وهو ما نسمعه في قوله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}. وقد مرّ معنا قول المفسرين أنه لا تظن النعيم مقصوراً على الآخرة، بل هو في الدور الثلاثة.

خاتمة النقاش:

كانت في التأكيد على أن الوحي هو منشأ الحضارة وسكون النفس.

كيف نصل لسكون النفس من خلال الوحي؟

ننتقل بعد ذلك إلى: ماذا أفعل لأصل لسكون النفس؟ اتفقنا أننا اليوم نناقشها بالصلة بالوحي؛ الذي هو المصدر. لأصل إلى سكون النفس:

لابد أن يكون عندي مفاهيم مستقاة من الوحي:

ماذا أفعل بهذه المفاهيم؟

- **أثبتها في القلب، أعقدها في داخل القلب إلى أن تصبح هذه المفاهيم حزمة**
- **أدركها، أفهمها، أراجعها في كل وقت حتى أصبح بها غنياً**، وهذا الكلام قد ذكره ابن تيمية في رسالة في القلب، وأن حق القلب التعقل، **التعقّل للمفاهيم**. وهذه الرسالة اسمها "**رسالة في القلب و أنه خُلق ليعلم به الحق وليستعمل فيما خُلق له**".

فإذاً ماذا نفعل بهذا؟ يعني كيف أستعمل الوحي؟

١. أكوّن مفاهيم مستقاة من الوحي.

٢. هذه المفاهيم المستقاة من الوحي أفكّر فيها وأنظر فيها وأقبل عليها، ثم لابدّ من تعقلها.

يعني كيف أعقلها؟ كأني أنقشها في الفؤاد، ابن تيمية رحمه الله يقول: " يقيده ويضبطه ويعيه ويثبته في قلبه، فيكون وقت الحاجة إليه غنياً، فيطابق عمله قوله، وباطنه ظاهره، وذلك هو الذي أوتي الحكمة " إذاً أنا بهذه الصورة أنتفع من الوحي.

سأعيد هذه النقطة من أجل - إن شاء الله - من أجل أن تكون واضحة وألا يحصل فيها تشويش: الناس كلهم يقرؤن الوحي والوصول إليه الحمد لله يسير، خصوصاً

في هذا الزمان؛ تسمع القرآن، تقرأ القرآن، تفهم القرآن، الحمد لله يسير. تسمع السنة وتقرأها وتفهمها، الحمد لله أيضاً يسير. إذاً أكيد أن الخطوة الأولى سأقبل على الوحي، ثم وأنا أسمع الوحي مطلوب مني أن أكوّن في نفسي مفاهيم من خلال الوحي بحيث إنها تثبت في القلب. بمعنى أني أنا أعرف أن هذا القلب وظيفته أن يعلم الأشياء ويعقلها؛ فلما يسمع من هنا، ماذا يفعل؟ مالمطلوب منه؟ **يقيّد هذه المعاني في القلب، يضبطها، يعيها، يثبتها في قلبه**، فيكون وقت الحال إليها غنياً، وقت ما يحصل أي اضطراب، يعرف يناقش نفسه في هذا الاضطراب، يعرف يكلم نفسه في هذا الاضطراب، فيطابق عمله قوله وباطنه ظاهره، ومن ثم كما قال ابن تيمية: "وذلك هو الذي أوتي الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً".

إذاً هذا الطريق إلى كل المفاهيم، ومن بينها هذا المفهوم المهم الذي هو في غاية من الأهمية وهو "**سكون النفس**" أنا الآن سأقرأ القرآن، **فما هو المفهوم الذي به تسكن بها النفس؟**

أول المفاهيم التى بها تسكن النفس وتهدأ، وأشرنا إليه في اللقاء الماضي، وهذا هو أصل المفاهيم التى تسكن بها النفس: **هو ما يتصل بمعرفة الرب سبحانه وتعالى**.

ونحن دائماً نركّز على هذه الآية ونفهمها الحمد لله فهماً صحيحاً: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} فيأتي أحد يقول: لكن ما حصلت لي الطمأنينة؟ نقول: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}. يعني نحن نحتاج أن يكون عندنا إيمان بالله عز وجل وبكماله وجلاله وعظمته حتى تطمئن قلوبنا. {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}؛ الذين عرفوا الله وتعقّلوا هذه المعرفة وكوّنوا في داخلهم مفاهيم من هذه المعرفة، هؤلاء الذين إذا ذُكر الله

اطمأنت قلوبهم. **فطيب النفس وسرور القلب وفرحه ولذته و ابتهاجه و انشراحه ونوره وسعته ما تحصل بمجرد كوني أسمع الحق فقط، لا، بل لابدّ أن يصل الإنسان إلى حدّ الإيمان اليقيني**. ولذلك: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا}.

فأصل الأمر الذي نبحث عنه هو معرفة رب العالمين التي تسبب الصلة به، وهي تسبب معاني كثيرة؛ منها محبة الله، ومنها الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً، مما يسبب الأنس بالله. ولهذا تتصوري قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**وجُعلت قُرّة عيني في** الصلاة"، وتتصوري "يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها".

فالعلم بالله وبصفاته وبأسمائه أصل في هذه المعاني؛ الإقبال على الله وحده و إيثار مرضاته نتيجة من معرفته. لكن هذه المعرفة- ولا لازلت أكرر لكم- هذه المعرفة **ليست مجرد معلومات نجمعها، بل لابدّ أن يصل الإنسان إلى حد تعقلها**، واتفقنا ما معنى أن أتعقّلها؟ ليس مجرد أن أتعلمها بل أتعقّلها كما قال ابن تيمية - رحمه الله -: الذي يعقل الشيء والذي يقيّده ويضبطه ويعيه ويثبته؛ ليس في الأوراق، لا، بل في قلبه، فيكون وقت الحاجة إليه غنياً، فيطابق عمله قوله وباطنه ظاهره، وذلك الذي أوتي الحكمة.

الآن سنقول أسماء الله وصفاته وأفعاله كذا.. نحن نتكلم عن القرآن كله وعن ما ترشد إليه السنة؟ الجواب: نعم صحيح. طيب، هذا لا أستطيع أن أجمعه لا في لقاء ولا لقاءين ولا ثلاثة ولا عشرة، وأنا كإنسان عندي كثير من الأمور المطلوبة مني، متى وكيف أصل إلى هذا؟ نقول: لا، أنت الآن لا تتصور أن هذا مطلوب منك جملة واحدة، لكن كل مفهوم من هذه المفاهيم نبذل جهودنا أن نتعلمها ونراجعها ونناقشها ونثبتها حتى تحصل السكينة في النفس الإنسانية.

ولذلك لما نفكر في الشخصيات التي كانت تحيط بالنبي صلى الله عليه وسلم، ونرى الصديق رضي الله عنه، نجد أنه رضي الله عنه كما وصفه علي رضي الله عنه يقول: "كان الصديق رضي الله عنه كالجبل، لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف" **من ماذا حصل هذا الأمر للصديق رضي الله عنه؟** من قوّة يقينه بالمعاني. ونحن هنا سنبذل جهودنا أن نأتي لأحد هذه المعاني ونحاول أن نجمعها في نفوسنا بحيث يحصل فيها السكون.

مفهوم كفاية الله وتأول القرآن:

وقد مرّ معنا أمس أننا سنختار موضوع **"كفاية الله لنا"**، وأنه سبحانه وتعالى قد أخبر أنه كفانا، وأخبر عن الطريق الذي به تحصل هذه الكفاية. إذاً هذا الموضوع الذي سنناقشه بإذن الله وسنهتم به وسننفعل بعده؛ لازم ننفعل لأن الموضوع ليس مجرد معلومات أسمعها، لابدّ أن يحصل ما أسميناه تأول القرآن بـ **"تأوّل القرآن"**.

فالآن اتفقنا على المعنى الذي نريد أن نناقشه الذي هو الشعور بكفاية الله، وهو من أهم المعاني التي يحصل بها سكون النفس، **وهو ليس عملاً جارحياً بل عقيدة قلبية ويقين يتبعه عمل قلبي بموجب هذا اليقين.**

إذاً أنا **سأتعلّم ثم أنفعل بما تعلمته**. وأنا أؤكد هنا أتكلّم في هذا المفهوم، **مفهوم تأوّل القرآن، ما هو المطلوب منك لما تسمعي النصوص؟** تسمعيه وتفهميه حتى تصلي إلى أن تقيديه في قلبك وتنفعلي به وتضبطيه وتعيه وتثبتيه حتى تنفعلي به.

ممكن يأتي أحد يقول: **من أين لنا هذا الكلام؟ وما المقصود بتأول القرآن؟** أشرنا في اللقاء الماضي إلى نص سأبدأ به وسأذكر نصوصًا سريعة، **فقط أريد أن أؤكد أن هذا منهج وليس اختراعاً ولا بدعة**، وأن هذا هو المطلوب منّا لما نسمع نصوص القرآن.

نبدأ بالنص الأول الذي أشرنا إليه في اللقاء الماضي:

- في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي؛ يتأوّل القرآن". ماذا تقصد عائشة رضي الله عنها بذلك؟ تقصد سورة النصر: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}. فالنبي صلى الله عليه وسلم، كما نعلم جميعاً، أُمِر في هذه السورة العظيمة أنه إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}؛ أُمِر بهذا الأمر: سبّح واستغفر. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول: "**سبحانك وبحمدك**". لاحظي، قبل أن يموت في الرواية الثانية: "سبحانك وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك". قالت: قلت يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ يعني ما سمعتها إلا قبل موته - صلى الله عليه وسلم - قال: "جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها" إذا رأيت هذه العلامة قلت هذه الكلمات. إذاً معنى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، كما ذكرت عائشة، **يتأوّل القرآن**؛ يعني بمعنى يسمع هذه الأخبار، يسمع هذه الأوامر، ينفعل معها، فهذا واضح: يقيّد، يضبط، يعيه، يثبّته في قلبه، يكون وقت الحاجة غنيًا به، يطابق عمله وقوله.

- أيضاً في الحديث المشهور الذي فيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - افتتح البقرة وقرأها، وقرأ سورة النساء، وافتتح آل عمران: "إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ. وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ. وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ. ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ.. " الشاهد هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما يمرّ بشيء يحتاج أن ينفعل معه، هنا طبعاً هذا في قيام الليل ينفعل معه النبي صلى الله عليه وسلم.

- ولذلك في حديث عائشة رضي الله عنها عن مسلم بن المخراق قال: قلت لعائشة يا أم المؤمنين، إن ناساً يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثة؟ فقالت: أولئك قرأوا ولم يقرأوا. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليلة التمام فيقرأ سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء، ثم لا يمرّ بآية فيها استبشار إلا دعا الله عز وجل ورغب، ولا يمرّ بآية فيها تخويف إلا دعا الله عز وجل واستعاذ. إذاً لابد من الانفعال، لابد من الانفعال. لاحظي في النص السابق: "إذا "لَا يَمُرُّ بِآيَةِ تَخْوِيفٍ، أَوْ تَعْظِيمٍ لِلَّهِ إِلَّا ذَكَرَهُ".، وهنا تحكي لنا إنه إذا في هذه الآية فيها استبشار استبشر ودعا الله ورغب في ما عند الله؛ هذه كلها مشاعر قلبية. ثم لا يمرّ بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب، رغب في هذا الذي بشر الله به، ولا يمرّ بآية فيها تخويف إلا دعا الله واستعاذ لأنه خاف صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث أيضاً، يعني تصوري إنه كيف قولاً وعملاً، وبهذا يطابق قول الإنسان عمله؛ يعني يقرأ شيء يخيفه يستعيذ، يقرأ شيء يبشره يشعر بالسرور ويفرح.

- أيضاً في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب - يعني من الأصنام- ، وفي يوم فتح مكة ورد عنه أنه كان يطعن الأصنام بعود في يده ويقول: {جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} ، {جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}. فهذا نوع تأول؛ يغرس هذه الأصنام ويطعنها مستحقراً لها، ويقول {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} ، إشارة إلى أن التوحيد هو الحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وأن إزالة هذه الأصنام التى هي باطل، هذا هو الحق، والمعنى مفهوم على كل حال.

- وقد ورد في الحديث أيضاً، حديث بلال في غزوة خيبر، هذا حديث مشهور أن النبي صلى الله عليه وسلم عرس في آخر الليل (يعني نزل في آخر الليل لينام)، وأمر بلال رضي الله عنه أن يرقب الفجر عشان يوقظهم، فنام بلال رضي الله عنه ففزع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "أي بلال؟" فقال بلال: "أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، بأبي أنت وأمي يا رسول الله". أخذ بنفسه الذي أخذ، ثم أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فانتقلوا، ولما قضى انتقلوا لمكان آخر وصلوا الصبح. لما انقضى الصلاة صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه:

"من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها؛ فإن الله قال: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}. هنا الشاهد؛ يعني النبي صلى الله عليه وسلم تأوّل هذا {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} يعني متى ما ذكرتها، وكان فعل النبي صلى الله عليه وسلم مطابقاً لهذا الأمر؛ يعني بمجرد أن ذكر الصلاة، وهنا الذكر حصل لما استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم. على كل حال هذا أيضاً من الأدلة الدالة على ذلك.

- أيضاً عن علي بن ربيعة رضي الله عنه قال: شهدت علياً أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: "بسم الله" ثلاثاً، فلما استوى على ظهرها قال: "الحمد لله"، ثم قال: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} وهو هنا يتأوّل، يعني يخبر إنه النبي صلى الله عليه وسلم فعل هذا بمجمل الخبر؛ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت ثم ضحك. فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: "إن ربك ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب غيرك". فينفعل؛ "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون"، ثم يقول "الحمد لله" ثلاثاً، "الله أكبر" ثلاثاً، ثم يقول: "سبحانك إني ظلمت، سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"، ثم يضحك. لاحظوا يضحك، من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: "إن ربك ليعجب من عبده"؛ يعني هو مؤمن مصدق بهذا الخبر إنه الله عز وجل لما يستغفره العبد حاضر القلب يعجب رب العالمين، يعجب من هذا. فالنبي صلى الله عليه وسلم يضحك لكون أن هذا العبد قد فعل ما يعجب منه الرب. والعجب صفة لائقة بالله تليق به سبحانه وتعالى، وقد ورد في

النصوص "عجب ربك من شاب ليس له صبوة" وغير ذلك من إثبات هذه الصفة.

على كل حال هناك نصوص كثيرة تدل على مسألة التأويل.

نذهب إلى أفعال الأصحاب الكرام بسرعة عشان يعني نصل إلى المعنى ونحن نريد بهذا تأصيل هذا الأمر وتأكيده.

- ورد عن عمر رضي الله عنه أنه صلى خلف عبد الله بن السائب، إنه دخل يعني دخل المسجد وعبد الله بن السائب يصلي، فقرأ {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا}، عبد الله بن السائب قرأ والذاريات الذروة، فوصل إلى قوله تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} في وقت دخول عمر رضي الله عنه. يعني عبد الله بن السائب يصلي وعمر داخل المسجد لم يدخل في الصف بعد، فسمع عمر رضي الله عنه عبد الله يقرأ {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} فرفع عمر صوته حتى ملأ المسجد وقال: "أشهد!"؛ يعني وأنا أشهد أن في السماء رزقكم وما توعدون.

- ومثله عن عمر أيضًا أنه كان يكبر أيام التشريق بمنى، فكان يقول: التكبير واجب على الناس في هذه الأيام. الراوي يقول: "يتأول هذه الآية: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ}..

- في حديث عائشة رضي الله عنها أيضاً أنها مرت بها هذه الآية في سورة الطور: {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}، فكانت هي تقول: "ربي مُنَّ عليَّ وقني عذاب السموم ".

- نأخذ نص آخر: عن حجر بن قيس المدري يقول: بتت عند أمير المؤمنين رضي الله عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فسمعته وهو يصلي من الليل يقرأ، فمرّ بهذه الآية: {أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} قال: "بل أنت يا رب" ثلاثاً. ثم قرأ: {أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} فقال: "بل أنت يا رب، بل أنت يا رب، بل أنت يا رب". ثم قرأ: {أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ} قال: "بل أنت يا رب، بل أنت يا رب، بل أنت يا رب". وهذا كان في صلاة الليل.

إذاً تصور القوم كيف ينفعلوا مع الآيات في كلامهم وفي عقيدتهم.

- ومن ذلك أيضاً قصة للربيع بن خثيم أنه كان إذا جاء إلى داره مسكين فسأل مالاً أو سأل شيئاً، كان الربيع يأمر أهله أن يعطونه من السكر، يقول: "أعطوه من السكر"؛ يقول عن نفسه يعني "فإن الربيع يحب السكر". فسفيان الثوري الذي يعني ينقل الخبر يقول: "يتأول قوله تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} كل هذه المعاني توجب علينا وغيرها طبعاً- و نحن هنا على باب الاختصار وإن شاء الله نتذاكر غيرها في مبدأ لقائنا غد - من أجل أن نصل إلى هذا المعنى. **ما هو هذا المعنى؟** معنى أننا إذا قرأنا القرآن تكوّن في داخلنا مفاهيم ننفعل بها قولاً وعملاً. ننفعل بها قولاً وعملاً مثل ما سمعنا عمر رضي الله عنه لما سمع آية الطور {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} قال: "**و أنا أشهد**"؛ **يشهد بهذا المعنى الذي قام في فؤاده**. مثل ما رأينا هذا التابعي

الربيع بن خثيم كيف تأول {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} فبحث عما يحب وأنفق. فهكذا يتصوّر المؤمن كيف يتعامل مع القرآن، كيف ينفعل به.

مفهوم كفاية الله في القرآن:

نأتي الآن ونفكّر في هذا المفهوم الذي نبحث فيه وهو **"مفهوم الكفاية"**؛ كفاية رب العالمين لنا. أنا أودّ منكم الآن أن تتصوروا من خلال النظر العام للآيات، سنبدأ أولاً بالنظر العام للآيات التي ورد فيها الخبر عن كفاية الله، النظرة العامة هذه ترشدنا إلى أمر غاية في الأهمية سنستنتجه سوياً من خلال المناقشة.

حتى نسير في الأمر كما ينبغي ماذا سنفعل؟ سأذكر لكم الآيات وأنتم تفتحون مصحفكم الآن؛ لن ننتقل لمرحلة التفسير فقط، سنركز على مرحلة القرآن النظر أولاً للقرآن ثم سيتبع ذلك إن شاء الله النظر في كلام المفسرين رحمهم الله.

سأبدأ بأوائل ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا الخبر، لأني أريد أن أكوّن هذا المفهوم؛ يعني ماذا أفهم عن كفاية الله؟ ماذا أضع في قلبي وأثبت عن كفاية الله؟ وهذا المفهوم عن كفاية الله هو الذي سيكون سبباً لسكون النفس، **لأن النفس تخشى وتخاف من أمور كثيرة محيطة بها، تخشى أنها لا تستطيع أن تدفعها عنها أو تجلبها لها، تخشى من هذا؛ فماذا يقال لها؟** يقال للنفس: **اكتفي بالله، لا تخافي، لا تضطربي**، فلو تصورنا سبب اضطراب النفس وعدم سكونها، نتصوّر ما الذي يعالجها ويسكنها. النفس تخاف، تخشى،

- النفس يحصل فيها توقعات وظنون،
- تخاف من الآتي،

- تحزن على الماضي،
- تضطرب في الواقع،

تقرأ الأحداث بطريقة خاطئة تسبب لها المخاوف، يصل الأمر أن تُصاب بوساوس تدخل عليها الأوهام؛ **ما الذي يدفع عنها هذا كله؟**

- **أن تشعر بأنها ليست مسؤولة عن المستقبل، ليست مطالبة بأمور خارجة عن قدرتها.**
- **تسكن النفس إذا شعرت أن ضعفها هو سبب قوتها،**
- **تسكن النفس إذا حُددت لها وظيفتها.**

سنرى الآن كيف أن هذا المفهوم (مفهوم كفاية الله) سيسهل علينا جداً أن نعرف وظيفتنا، ونعرف حدودنا، ونعرف قوانا.

١. سورة المزمل: {فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا}

نذهب في أوائل ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، نذهب إلى سورة المزمل ونرى -وطبعاً نعرف منزلة هذه السورة وكيف أنها من أوائل ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم- ونرى ربّ العالمين ماذا قال لرسوله، بماذا أمره وكيف طمأنه.

لنذهب إلى مطلع سورة المزمل، ونرى ماذا سنجد؟

إذا وصلت للآية التاسعة، بعدما أخبره الله عز وجل رسوله أنه سيلقي عليه قولاً ثقيلاً، وأرشده إلى مجموعة أوامر لكي يتحمل هذا القول ويقوم بما يجب عليه؛

من ذلك أن يذكر اسم ربه: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا}، والتبتّل يعني الانقطاع لله. طيب لو تبتلت وانقطعت عن كل شيء من الأمور كيف يكون ذلك؟ يأتي الآن الجواب: أتدري من ربك؟ ربك {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا}

سبحان الله العظيم! ربّ العالمين يرشد نبينا الكريم إلى الطريقة التي يعيش بها لما حُمِّل هذه المسؤولية: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا}. ماذا تفعل أمام هذا القول الثقيل؟ فلتكن ناشئة الليل - يعني ما تنشئه من قيام الليل-، **وقيام الليل أشدّ مواطأة للقلب و أقوم قيلاً في التلاوة والتدبّر والتأمّل وبالتالي بالتأثّر**. فهذا إذا كان قولًا ثقيلًا سيلقيه الله، يوجه رب العالمين إلى ما يتزود به لتحمّل هذا القول الثقيل. المصاعب كثيرة، الأمور عظيمة. في الليل عليك بالقيام، وفي النهار {إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا}؛ يعني كأنه يقال: قم الليل لأن قيامه أشدّ وقعاً وأرسخ، والنهار زمن فيه شُغل عظيم لا يُترك للإنسان خلوة. والنبي صلى الله عليه وسلم في نهاره كان يشتغل بالدعوة، لكن مع الاختلاط بالخلق وحصول ما يحصل من تشتت الذهن، كان الليل لتكوين هذا الأمر.

ثم يأمره الله عز وجل بأن يذكره وأن يتبتل وينقطع. وإذا انقطعت ستقبل على من؟ ماذا سيحصل في نفسك؟ **ستقبل على ربّ المشرق والمغرب**: الربّ العظيم الذي بيده كل شيء، الذي يملك كل شيء. فإذا عرفت أنه رب المشرق والمغرب، **اصرف فؤادك عن غيره، ولا يقع في قلبك شيء من تعظيم غيره ولا تأليه غيره سبحانه وتعالى**. ربنا رب المشارق والمغارب؛ ما يكون من خير وصلاح إلا في يده، ولا يكون من دفع شر إلا هو سبحانه وتعالى مالكه، هو ربّ كل شيء وخالقه ومدبّره. إذا عرفت

ربنا لا تنصرف لغيره {لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ}: ما يستحق المحبة والتعظيم والإجلال والتكريم إلا إيّاه. الآن يأتي الانفعال: ماذا تفعل لما عرفت كمال ربك وانصرفت عن غيره له؟ {فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا}. تصوّر هذا المعنى؛ فلتهدأ نفسك وليطمئن قلبك. ألم تعلم أنه رب كل شيء و مليكه، وأن الإله المنفرد بالمحبة والتعظيم؟ فليس لك وكيل يتوكّل شؤونك إلا هو سبحانه وتعالى. وهذا أمر من أوائل ما نزل، ما يحتاج الأمر أن تلتفت لغيره. المسؤوليات الملقاة على عاتقك عظيمة، لكن أنت لست مسؤول إلا عن ما تعتقده في قلبك وما تسلكه كما أمرك ربك. ربك هو رب المشرق والمغرب المالك المتصرف، لا محبوب ولا معظّم إلا إيّاه، فالواجب عليك أن تتخذه وكيلاً. فتصوري {فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} كأنها ناتج يقينك بأن كل شيء بيده، وأنه لا إله أتوجّه إليه وأحبّه إلا إيّاه.

<u>لأن عندك معلومتين:</u>

- "**رب المشرق والمغرب**" هذا إشارة إلى ربوبيته على كل شيء وأنه مالك كل شيء وأن المتصرف في كل شيء، "**لا إله إلا هو**" فهمنا بوضوح أن لا معبود يستحق هذه المحبة وهذا التعظيم إلا هو: فمعرفتك بكماله وجلاله وعظمته يجعلك لا تتوجه إلا له.

طيب، إذاً يترتب على هذا:

- {فَاتَّخِذْهُ}يعني خذه بجميع جهدك وكيلاً لك على كل أمورك. فوّض إليه جميع أمورك، يكفيكها كلها ويكفك غاية الكفاية؛ فهو المتفرد بتدبير كل شيء سبحانه وتعالى، فلا شيء في يد غيره وكل شيء في يده. فلا تهتم ولا تغتم، بل اجعل قوتك كلها في الاعتماد عليه وطلب السبب منه؛ فهو رب الأسباب واطلب منه أن ينفعك بالسبب فهو الذي يبارك في الأسباب وهو الذي يجمع

التفاصيل ودقائق الأمور ويرتبها سبحانه وتعالى بتدبيره حتى تأتي هذه النتائج.

{فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا}: أفرده بتوكيلك له شأنك كله. وهنا يعني ما يحتاج أن نتكلم عن مسألة الأسباب؛ كن متوكلاً في أن يعطيك. وهذا الأمر واضح جداً.

وكونك تتخذ الله وكيلاً:

- تعلن **ضعفك وعجزك** عن السبب ⇦ فيمدك **بالسبب**،
- ثم تعلن ضعفك وعجزك عن **الانتفاع بالسبب** ⇦ فيعطيك من **الحول والقوة** ما تنتفع به من السبب،
- ثم تعلن **عجزك عن أن تأتي نتائج الأسباب** ⇦ فيعطيك **النتائج** سبحانه وتعالى.

وهذه الدار مبنية على الأسباب فما يحتاج نعيد ونكرر هذا المعنى، يعني هذا معنى الأسباب معنى واضح العاقل يفهمه تماماً. نريد أن نركز على هذا المعنى الذي ينقصنا وهو من أوائل ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم، الله يأمر رسوله أن يتخذه وكيلاً، يأمره أن يسأله كل حاجة من حاجاته، يأمره الله عز وجل أن يطمئن إليه. ومن تمسك بهذه الآية عاش حراً كريمًا ومات خالصًا شريفًا ولقي الله عبدًا صافيًا تقيًا؛ عاش في دنياه واحدًا لواحد، وهذا من شرط الموحد: أن يتوجه للواحد ويقبل على الواحد ويبذل له نفسه عبودية ويأتمن على نفسه، **يفوض إليه أموره، يترك التدبير له ويثق به ويركن إليه ويتذلل لربوبيته ويتواضع لعظمته ويتخذه عُدة لكل نائبة تنوب وتصيبه في دنياه وأخراه.**

{فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} ما أعظم هذا الأمر وما أشدّ الحاجة إليه! ولنتأمل أن الله عز وجل أمر رسوله بذلك في أوائل الدعوة ولما قال له: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} الذي قد وقع عليه من

الخوف، وقع عليه من الأعمال والأحوال الثقيلة، ونلاحظ أن ربّ العالمين يعني قد جمع في هذه السورة للنبي - صلى الله عليه وسلم - بين الأعمال التي تعينه والعقائد التي تثبته؛ لأنك تسمعي {فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا * وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل ٩]

طبعاً نحن شاهدنا الآن {فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} فإنك بقواك لا تستطيع أن تصل، لكن باتخاذ وكيلًا يصنع لك ما يصنع، وهو رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو.

٢. سورة الإسراء: خطاب الأنبياء جميعاً

ثم نجد أن هذا المعنى لم يخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم فقط، إنما خوطب به كل الأنبياء؛ خوطبوا بمعنى التوكل، حتى إننا نصل من خلال هذه الآية التي سنتدارسها الآن لنصل أنه كان الدين محصوراً في هذا المعنى. الآن أودّ منكم أن تنظروا في المصحف إلى **سورة الإسراء**، أول آيتين في سورة الإسراء، نجد أن هذا الأمر -**أمر الكفاية بتوكيل الله عز وجل**- ظاهر في خطاب موسى عليه السلام: {وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا}. يعني أرسل الله موسى - عليه السلام - وأنزل عليه التوراة، وكانت التوراة هدى يهتدون بها في ظلمات الجهل إلى العلم بالحق. ما مدار هذه الرسالة؟ ما هو المعنى الذي تدور حوله الرسالة؟ {أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا}.

سبحان الله! لا تكلّف نفسك، لا تدخل نفسك في الخطر، لا تتخذ من دون الله وكيلاً؛ رب توكّل أمرك إليه وتعتمد عليه، أياً كان حاله، أي أحد غير الله فهو "دون". **لا تكن سفيهاً فتترك من يكفيك في كل شيء إلى من لا كفاية عنده لشيء.** كيف

يكون هذا؟ كيف تسند إلى غير الله الأمور وتفوّض لغير الله الشؤون؟ ما الذي يجعل الإنسان يمكن أن يفعل مثل هذا الفعل السفيه فيترك من بيده كل شيء إلى من ليس بيده شيء؟!

أردنا بهذه الإشارة، إلى هذين الموضعين التي في سورة المزمل وفي سورة الإسراء، أن نتصوّر أن هذا من أوائل ومن أعظم ما يُرشد إليه، **وهو اتخاذ الله وكيلاً**:

- **في المزمل**: أُمِر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتخذ الله وكيلاً: {رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا}.
- **وفي الإسراء**: هذا الخبر أيضاً خوطب به الرسل قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - وأقوامهم: {أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا}. فنلاحظ أن هذا الأمر - الذي هو **توكيل الله الشؤون مطلب نحن نؤمر به**، والحقيقة أن فيه راحة النفس ويحصل بها الطمأنينة.

٣. سورة النساء: وكفى بالله وكيلاً

لكن ما الذي يمنع الناس من هذا الأمر الذي هو فيه صلاح النفس؟ ما الذي يمنعهم وهو أمر في صالحهم؟ نعم، هناك سبب مهم يمنعهم من ذلك. لو نظرنا لورود هذا الأمر الذي هو "**توكيل الله رب العالمين**"، نجد أن في إضافة مهمة يجب أن تكون موجودة في نفس المتخذ الله وكيلاً لأجل أن يتمّ له ذلك، وهنا يأتينا الكلام عن كفاية الله.

حتى يتضح الأمر، لنذهب سوياً إلى **سورة النساء آية (٨١)** نجد في هذه الآية الكريمة حالة من الأحوال التي مرّ بها النبي - صلى الله عليه وسلم - مع الأعداء

المتخفيين بصورة أولياء؛ يأتون للنبي - صلى الله عليه وسلم - ويقولون "طاعة" - يعني سنطيعك طاعة-، فإذا برزوا من عندك {بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ} في نفوسهم أو مع غيرهم من نفس فئتهم {غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ}. بعد ما قالوا طاعة، النبي - صلى الله عليه وسلم - بشر، وليس مطلعًا عليهم ولا يعرف صادقهم من كاذبهم إلا أن يطلعه الله. فرب العالمين يطمئن النبي - صلى الله عليه وسلم - ويقول له: {وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ} أنا ما هو دوري في هذا الموقف؟ قلقان منهم؟ لا تقلق،

- ١. {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ}: هذا الأمر الأول **لا تشغل نفسك بهم**. طيب هؤلاء يسوون لنا مؤامرة، وهؤلاء يفعلون لنا كذا، هؤلاء متجمعين، وهؤلاء يحالفوننا ثم يطعنوننا؟ هل تستطيع أن تكشف ما في نفوسهم ونياتهم؟ لا، فأعرض عنهم: هذا الأمر الأول **لا تشغل نفسك بهم**.
- ٢. {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا}، وتوكل على الله وأنت تشعر بكفايته، تشعر بكفايته؛ التوكل الحقيقي والاعتماد الحقيقي الذي يسكّن النفس في هذا الموطن هو **الشعور بكفاية الله وكيلاً**: أنا وكلتك يا رب العالمين وأنا مطمئن وأنت ستأتيني بكل خير، مطمئن أنك ستأتيني بكل مصلحة. ولذلك يحتاج المؤمن الآن لكي يتأوّل هذه الآيات، أن يصل إلى شعور الكفاية بالله وكيلاً. ولذلك لما نقرأ في تفسير هذه الآية، نقرأها عند الشيخ السعدي، يقول الشيخ في الموطن الآن الذي نريد أن نفهمه: "ثم أمر رسوله بمقابلتهم بالإعراض وعدم التعنيف". لأنه هذا كما هو متبين يظهرون للنبي صلى الله عليه وسلم أنهم أولياء وهم في الحقيقة أعداء. {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ}: أمره رسوله بمقابلتهم بالإعراض وعدم التعنيف، "فإنهم لا يضرونه شيئاً إذا توكل على الله واستعان به في نصر دينه وإقامة شرعه".

فنحن الآن **عامة الناس** الذي ليس بيدنا قرار وليس معنا شيء، وإنما نسمع هذا ونسمع هذا، وهذا يخوفنا وهذا يخوفنا، ونخاف من هذا الشيء؛ نرى فتثير الرعب في داخلنا وحاصل لنا الضعف.. ماذا نفعل؟ لا تسمع لهم، أعرض عن كلامهم، أعرض عن ما يظهرون وعما يبيّتون، ونركز في شيء واحد: أن نتوكّل على الله ونكتفي بوكالته، نطمئن بها، نشعر أن ما دام الله معنا فإنهم لا يضرون إلا أنفسهم، **لا يضرّون إلا أنفسهم**. وكفى بالله المحيط بكل شيء علماً وقدرة، كفى به وكيلاً. نوكّله في شأننا ونحن مطمئنين، **وسننظر كيف تكون العاقبة لمن صحّ منه الاعتماد على رب العالمين؛ يكفيك ما أهمك، يصرف عنك ما يضرك. طالب نفسك بهذا التأويل بالطمأنينة لرب العالمين** أنه عز وجل يكفينا شرّ كل ذي شرّ،

- وكفى بالله وكيلاً لمن توكّل عليه، وكفى بالله وكيلاً لمن اطمأن إليه،
- وكفى بالله وكيلاً لمن اكتفى بولاية الله.

أما من في قلبه **شك** في هذه الولاية والكفاية، فهذا شأن آخر وحال أخرى.

ولذلك لو نظرنا الآن في نفس هذه السورة وذهبنا إلى **آية (١٣٢)** - ونحن غداً إن شاء الله سنستفتح بالكلام عن سورة النساء خاصة في مسألة الكفاية- .

لو ذهبنا لآية **(١٣٢)** سنجد هذه الآية العظيمة يقول لنا فيها رب العالمين: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا}. يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: "ثم كرّر إحاطة ملكه لما في السماوات وما في الأرض" وطبعاً هذا الموطن واضح في النساء، لكن غداً إن شاء الله نعيد الإشارة إليه. شاهدنا هنا: " ثم كرر إحاطة ملكه لما في السماوات وما في الأرض، وأنه على كل شيء وكيل، أي: عالم قائم بتدبير الأشياء على وجه الحكمة، فإن ذلك من تمام الوكالة، فإن الوكالة تستلزم العلم بما هو وكيل عليه، والقوّة والقدرة على تنفيذه وتدبيره، وكون ذلك التدبير على وجه

الحكمة والمصلحة، فما نقص من ذلك فهو لنقص بالوكيل، والله تعالى منزّه عن كل نقص." وستكون وكالته وكالة تامّة.

وهذا المعنى إن شاء الله سيكون مفتتح كلامنا غداً، وننطلق ي الكلام عن كفاية الله بالنظر في سورة النساء؛ ولذلك حبذا لو بحثتم عن ورود "كفى بالله" في سورة النساء، انظروا لي "كفى بالله" في سورة النساء، وستكون غداً إن شاء الله مناقشتنا في هذا الأمر، يعني خاصة في سورة النساء سنتناقش.

نسأل الله أن يجعل هذه الساعات التي قضيناها سوياً مجتمعين على هذا المعنى العظيم أن تكون في موازين حسناتنا. والحمد لله رب العالمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللقاء الثالث

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. نحمد الله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ونسأله بمنه وكرمه أن يجعل القرآن الكريم ربيعاً لقلوبنا، ونوراً لصدورنا، وجلاءً لأحزاننا وهمومنا، آمين.

من منطلق هذا الدعاء الذي يطلب فيه أهل الإيمان -المؤمنون بخبر رب العالمين، المأمنين لرسوله الكريم- كل ما أخبرهم به، مأمنين أن رسولهم الكريم قد علمهم الحق، بلغهم الرسالة، وأدّى إليهم الأمانة، ونصحهم غاية النصح، فعلمهم عن رب العالمين ما تسكن به هذه النفوس، فها هم يقولون: **"اللهم اجعل القرآن الكريم ربيعاً لقلوبنا، نوراً لصدورنا، جلاءً لأحزاننا وهمومنا"**.

يتضمن هذا المعنى يقينهم أن الحق المبين هو ما جاء به رسولنا الكريم، هو الذي يسكّن هذه النفوس ويهدئها. ولتحقيق هذا المعنى، كنا ناقشنا بعض النقاط في اللقائين الماضيين، نسأل الله عز وجل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه.

مكمن الأسرار وحاجة النفوس:

بدأنا من أول ما بدأنا الإشارة إلى أن **النفس مكمن الأسرار**، خفية على الإنسان، لا يعلم حالها إلا الرحمن سبحانه وتعالى؛ اضطرابها وسكونها، خوفها ورجاؤها، إقبالها وإدبارها، أسرار لا يعلمها إلا الله عز وجل.

وتبيّن لنا من خلال النقاشات أن **سكون النفس مطلب** يجب العناية بتحصيله، فهو حاجة إنسانية ملحة، مدحها الله عز وجل ورسوله؛ أن تكون هذه النفس مطمئنة ساكنة غير مضطربة.

ومن رحمته سبحانه وتعالى أن أرشدنا إلى طريق الوصول لهذه الغاية. ولما يرشدنا رب العالمين إلى أي شيء، لا بدّ أن نعرف أن هناك ثلاث خطوات يجب أن نسيرها لنصل إلى أي شيء أُمِرنا أن نصل إليه:

الأمر الأول: أن نتعلم هذا الشيء تعلم إنسان مؤمن. والإنسان المؤمن ما ميزته؟ ميزته أنه لما تأتيه الأخبار من رب العالمين على لسان رسوله الكريم، هو مُأمّن الرسول على نفسه، بمعنى أنه **سلم له قلبه**؛ كلما سمع شيئاً من رسول الله صدقه وتيقن به؛ لأنه يعلم أنه رسول من عند الله. ولذلك من أهم صفات النبي ﷺ أنه الصادق الأمين، عرفوه بأنه الصادق الأمين، فهو أمين على وحي السماء. أَمِنَ الناسُ نفوسهم وتأمنوا بأن الأخبار جاءتهم عن طريق هذا الرسول الكريم، فالمؤمن الآن لازم يكون "مُأمّنًا الرسول": يعني معطي الرسول كل الأمان أن الرسول سيأتي بأخبار الحق، فيتعامل مع هذه الأخبار بكل شعور أنها وحي وأنها صدق. فكل الأخبار التي غابت عنا -لأن الإيمان معتمد على الغيب- نحن مؤمنون لرسول الله ﷺ أن يأتي بها وأن يحدثنا بها، فصدقناها والحمد لله.

الأمر الثاني: إذا عرفنا الأخبار التي جاءت وصدقناها، بقي علينا **أن نتدرب على الانفعال بها**، فنعمل الصالحات وننشر هذه المفاهيم، ونتواصى بالحق، وهذا كله يحتاج إلى صبر؛ ولذلك أشرنا إلى سورة العصر كمنهج لاستقبال كل حق والتعامل معه.

الأمر الثالث: اتفقنا أن هناك مقدمات يجب أن تكون في نفوسنا، منها الغنى بالوحي، وحصر المصدر في الوحي، والشعور أننا لا نحصل السكينة إلا من الوحي؛ فنحن نشعر بالغنى بالوحي مستغنين عن غيرنا، وما نأخذ إلا الوحي، ونشعر أن السكينة التي نطلبها والسكون الذي هو مطلب فطري لن نجده إلا في الوحي.

وظيفة القلب وسكون النفس:

ولذلك لازم يكون هناك أمور مفهومة، هناك مفاهيم مستقاة من الوحي؛ كيف أنا أصل إلى أني أفهم الأمر بهذه الصورة ومن ثم تسكن نفسي؟ هذا الذي يجب علينا أن نفكر فيه.

يعني بكلام سهل وبسيط، الآن لازم نعرف أن لكل عضو من الأعضاء التي ربنا خلقها وظيفة؛ السمع له وظيفة، البصر له وظيفة، اليد لها وظيفة... إلى آخره، إلى أن نصل إلى القلب. القلب له وظيفة ، ما وظيفة القلب؟ وظيفة القلب هي الوظيفة الرئيسية التي يحصل بها سكون النفس؛ **القلب خُلق ليعلم به الحق**، ولذلك يجب أن نستعمله فيما خُلق له.

هل العلم بالحق يعني مجرد معلومات؟ لا، ليس مجرد معلومات، وإنما **القلب خُلق ليعلم الحق ويعقله، ما معنى أن يعقله؟** ذكرنا هذا فيما سبق ونعيده، وهذا الكلام تجدينه واضحاً في كلام ابن تيمية رحمه الله في "رسالة في القلب"؛ المطلوب؟ أن يعقل قلبك هذا الأمر. ما معنى يعقل؟ يعني يقيده، **ويضبطه، ويعيه، ويثبته في قلبه بحيث إنه يكون وقت الحاجة** -كما يذكر ابن تيمية رحمه الله- **وقت الحاجة يكون القلب به غنياً.**

فمالنتيجة؟ الكلام الذي في قلبه يصبح عملاً، فيطابق عمله قوله، وباطنه ظاهره، وهذا هو الذي أوتي الحكمة.

إذًا، بهذا نفهم أن الأذن ماذا تفعل؟ تنقل الأخبار. العين ماذا تفعل؟ تنقل الأخبار، ننظر إلى أشياء نراها تنقلها إلى القلب. الأذن ماذا تفعل؟ تسمع الأخبار تنقلها إلى القلب. **لكن القلب وحده هو الحَكَم**، هو الذي يحكم على الأشياء نتيجة تكون المفاهيم في داخله.

- فإذا كان القلب لم تتكوّن فيه مفاهيم صحيحة وعاش مثلاً يرى أموراً هي التي لها العظمة وهي الغاية، سيرى الأمور بهذه الطريقة.
- وإذا تكونت في قلبه مفاهيم صحيحة، ستكون نظرته للأمور صحيحة.

أمثلة على أن القلب هو الذي يحكم على الأشياء نتيجة ما امتلأ به من حقائق ومفاهيم:

مثال (١):

لنضرب مثالاً على ذلك، وهنا أودّ منكم أن تنظروا إلى سورة القصص في ذكر قصة قارون، ونريد أن ننظر سوية لما خرج قارون على قومه. لما خرج على قومه الآن: {فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ}، الأنظار توجهت إليه، انقسم الناس الآن إلى فريقين رغم أن الفريقين ينظرون إلى نفس الشيء -وهنا الشاهد- رغم أن الفريقين ينظرون إلى نفس الشيء **لكن كلاً فسّر على حسب ما في قلبه من مفاهيم**، كيف هو فاهم الأمور؟

- **الفريق الأول**: {قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا} الإرادة هذه في قلبهم نتيجة إنه في قلبهم يشعروا بعظمة الدنيا، يعني فاهمين إن الدنيا غاية المنى- كذا فهمهم عن الحياة ماذا قالوا؟ {يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} رأوا هذا المنظر فقلوبهم شعرت بهذا الشعور.
- **الفريق الثاني**: نفس المنظر رأوه {أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ} ماذا قالوا؟ {وَيۡلَكُمۡ}! ما الذي أصابكم؟ كيف تكون هذه ظنونكم؟ هل يمكن -كأنهم يخاطبونهم- هل يمكن لإنسان عاقل أن ينظر إلى أسباب الهلاك على أنها فوز عظيم؟! {وَيۡلَكُمۡ} كيف تحسبون الحسبة بهذه الطريقة؟ ويقارنون لهم هذا الأمر بثواب الله؛ ثواب الله العاجل من لذة العبادة ومحبة الله والإقبال عليه، والآجل من الجنة وما فيها مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، خير من هذا الذي تمنيتموه.

لكن ليس كل من يعلم يمكن أن ينفعل!

نلاحظ الآن أن المنظر واحد، الأمر المشاهد واحد، **والفرق أين؟ الفرق و اقع في التفسير القلبي**. التفسير القلبي ناتج عن ماذا؟ ناتج عن أن الفئة الأولى تفهم الحياة بهذه الطريقة، والفئة الثانية تفهم هذه الحياة بهذه الطريقة؛ فمنظر واحد كلاً يقرؤه بصورته، بطريقته، كلٌ يقرؤه على حسب ما في قلبه.

مثال (٢) من سورة الأحزاب: غزوة الخندق:

يؤكد هذا المعنى الآن ما نقرؤه في سورة الأحزاب، أودّ منكم أن تنظروا في سورة الأحزاب؛ لما تنظري في سورة الأحزاب وتري الآية (٩و١٠و١١و١٢) انظري لهذه الحالة الحرجة: جاءت الجنود فأرسل الله عليها ريحاً وجنوداً لم تروها. في الآية (٩)

الله عز وجل يلخّص الموقف كاملاً، لكن فيما بين ما جاءت الجنود وما بين ما أرسلت الريح ونزلت الجنود التي لم تروها حصلت أمور، حصلت أمور الله مطلع عليها.

<u>نرى الآن هذه الأمور:</u>

الأولى: الحالة كانت أن هؤلاء جاؤوا من فوقكم ومن أسفل منكم، وبلغ الأمر ما بلغ، زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وكلٌ يظن على حسب حاله. سنرى الآن أن هذا كان ابتلاءً، الذي خرج من يعني في (١١) رب العالمين يقول لنا: {هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ}، ابتلاء أخرج الذي في القلوب كيف نفهم الأمور؟

انظري الآية (١٢) الآن، لما جاء هذا الابتلاء خرج ما في القلوب، المفاهيم كيف تفهم الموقف؟

المنافقون: هؤلاء فهموا الموقف بهذه الطريقة: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا}. هذا فهمهم، هذه مفاهيمهم: ما في يقين في ربّ العالمين، ما في شعور بالاكتفاء برب العالمين.

المؤمنون: نذهب إلى الآية (٢٢) الآن، المنظر رآه الطرفان {إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ} ، المنافقون قالوا: {مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب ١٢]، لكن المؤمنين: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ} -لا بدّ من الابتلاء، لا بدّ من الامتحان- {وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}.

نفس المنظر، نفس الموقف، لكن الفرق واضح في الفهم، وفي الانفعال. السبب أن هؤلاء (أهل الإيمان) امتلأت قلوبهم معرفة بالله، ومعرفة بسننه، ومعرفة أن النصر لا بدّ أن يكون مع الصبر، ومعرفة يقينية أن الله يبتلي ما في القلوب، ومعرفة

يقينية أن الدنيا مجرد ممرّ والآخرة هي المستقرّ، فهموا هذا فهمًا عميقًا في مقابل آخرين من المنافقين والذين في قلوبهم مرض، جعلهم ما يستوعبوا المفاهيم رغم أنهم يسمعونها، جعلهم ما يعقدوا قلوبهم على هذه المفاهيم ويتيقنوا بها، مما سبب لهم الاضطراب؛ هذه الأمراض وهذا النفاق سبب لهم أن لا يعقدوا في قلوبهم هذه المفاهيم، فما كان منهم إلا أن ينظروا لهذا الموقف بنظرة أخرى تماماً ويقولون: {مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا} وهكذا يختلف الناس.

الصدّيق أبو بكر رضي الله عنه نموذجاً للسكينة:

ولو وضعنا الصديق رضي الله عنه كنموذج -وقد مرّ معنا الإشارة إليه- كان الصديق رضي الله عنه كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف، كان كالجبل. فلو تصورتِ كيف يتكون هذا الجبل؟ وهذا وصف دقيق من علي رضي الله عنه تستطيعين من خلاله فهم ما معنى أن تسكن النفس. فكأننا نقول **حياة الصديق رضي الله عنه كلها تصف لنا معنى السكينة**؛ فهو يشبه الجبل بالسكون، والقواصف والعواصف لا تحركه أو تزيله. هذا دليل على قوة سكونه حتى أن العواصف والقواصف تأتي وهو ثابت، وله رضي الله عنه من المواقف ما يدل على ذلك.

وفي الحديث، لما كانت ليلة أُسري بي ثم أصبحت بمكة، النبي ﷺ في هذا الموقف وسنرى موقف هذا الصاحب الممتلئ سكينة، الذي نفسه ساكنة ليست مضطربة. فيقول النبي ﷺ إنه قُطِع بأمري - يعني قُطِع بما يرجع إليه أمري من تكذيب الناس إياي- يعني كأن النبي ﷺ يقول: كنت متأكداً أن الناس سيكذبونني. ثم جاء هذا

الموقف الذي يحتاج حقيقة إلى مراجعة ونظر؛ كيف لما جاء عدو الله أبو جهل وأتى استهزأ بالنبي ﷺ ونادى في قومه: "يا بني كعب بن لؤي اجتمعوا"، وكانت السكينة على رسول الله ﷺ، فصاروا يتعجبون ويفعلون ما يفعلون. ونزلت السكينة على النبي ﷺ، وطلبوا منه أن يصف، أن ينعت لهم بيت المقدس، فنعت لهم، وحتى أن في الحديث: "جيء ببيت المقدس وأنا أنظر إليه حتى وُضِع دون دار عقيل" -الذي هو كأنه أمامه، أمام النبي ﷺ-، نعت المسجد نعتاً كاملاً.

الآن نحن نفكّر في أبي بكر -رضي الله عنه-؛ أبو بكر الذي آمن وأتمن النبي ﷺ على خبر السماء. سأله المشركون الآن -طبعاً فعلوا ما فعلوا وبعض المسلمين حصل شيء من الاضطراب في نفوسهم- أما أبو بكر - رضي الله عنه - قال: **"إن كان قال فقد صدق"**. ثم علّل الأمر قال لهم: "وما يعجبكم من ذلك؟ فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار". يعني أن أبا بكر يرى أن مسألة الإسراء به أو حتى المعراج -حتى النبي ﷺ لم يحدثهم عن المعراج وإنما خبرهم عن الإسراء- يقول إن النبي قد أخبره أنه يوحى إليه، وأن الوحي يأتيه في أي ساعة من الليل والنهار، فكيف أكذبه بما هو أقلّ من هذا وهو أنه أُسري به وانتقل؟

فلما استقرّ في قلبه هذا المفهوم جاءت السكينة: لما ابتُلي الناس بحادثة الإسراء كان هو ساكناً هادئاً مطمئناً. فهذا سكون في موقف اختبار للعقيدة، ونحن نختبر في عقائدنا، فنسأل الله أن يثبتنا وألا ندخل في الهرج والمرج ولا يحصل لنا اضطراب.

على كل حال، ها نحن قد تقرر لنا أمر غاية في الأهمية: أن العين ترى والأذن تسمع والقلب هو الذي يحكم على المواقف بناءً على ما امتلأ به من الحقائق؛

هل هذه الحقائق كانت مجرد كلام أم أصبحت عقائد ثابتة؟ هذا الفرق بين الناس.

فنحن الآن نريد أن نصل **من مجموعة حقائق إلى ثوابت**، نصل من مجموعة حقائق إلى أن تكون هذه مفاهيم تثبتنا ثوابت في نفوسنا.

وقد كنا بدأنا بالكلام عن أمر الله عز وجل لرسوله بأن يتخذه وكيلاً، وهذا كان من أوائل ما نزل على النبي ﷺ في سورة المزمل، ثم عرفنا أن هذا الأمر قد أوصى الله به كل المرسلين وكان نموذج موسى عليه السلام كما في أوائل سورة الإسراء. وهذا المفهوم **(مفهوم وكالة الله) من المفاهيم التي إذا ثبتت في القلب سكنت**، لكن يجب أن نكتفي به وكيلاً. هذا المعنى موجود في سورة النساء.

مفهوم الكفاية في سورة النساء:

الآن إن شاء الله فيما بقي لنا من وقت اليوم وغداً سيكون تركيزنا على هذا المعنى: على معنى الكفاية بالله عز وجل، عقيدة نحملها في قلوبنا ونثبت نفوسنا حال الاضطراب في أي أمور تحصل لها، نثبت نفوسنا بهذه المفاهيم: نتعلّمها، نكررها، نناقش أنفسنا فيها، نتدرّب عليها. ولما نتدرب عليها يعني لما تأتي المواقف نذكر أنفسنا بها ونلزم أنفسنا بها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ثم ننشرها حولنا.

طيب، سنرى الآن هذه المفاهيم، مفاهيم الكفاية كما في سورة النساء. سنعرض عليكم جدولاً حصرنا فيه الآيات في سورة النساء التي فيها مفهوم كفاية الله.

حصر آيات (كفى) في سورة النساء		
	الآية	رقمها
١	{وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا}	٦
٢و٣	{وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا}	٤٥
٤	{مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا}	٧٩
٥	{وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا}	٨١
٦	{وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا}	١٣٢
٧	{لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا}	١٦٦
٨	{يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا}	١٧١

وهنا يأتينا سؤال: لماذا سورة النساء يأتي فيها الكلام عن كفاية الله وهي أكثر سورة ورد فيها "كفى"؟ - يعني كلمة "كفى" نفسها و"كفى بالله" أيضاً هي أكثر سورة ورد فيها كفى كما سيتبين لنا- .

ونفكر قليلاً وننظر لسورة النساء، ونراها **سورة الضعفاء**: سورة النساء فيها خبر النساء، فيها خبر اليتامى، **فما مناسبة الكفاية فيها؟**

طبعاً فيها أخبار أخرى غير النساء واليتامى، فيها أمور تشير إلى **ضعفاء الإيمان** وكيف التعامل معهم، الضعفاء في أخلاقهم وأحوالهم، الضعفاء في أمانتهم، الضعفاء في إيمانهم الذي يمكن أن نتعرض بسببه إلى أنواع من الخيانة، الضعفاء في عقولهم، الضعفاء في ديانتهم، هؤلاء الضعفاء ماذا نفعل بهم؟ كيف نتصرف؟ الضعفاء الذين ما عندهم شجاعة يواجهوننا لما يطعنوننا في ظهورنا، ماذا نفعل بهم؟ فسورة النساء سورة الضعفاء بأنواع من الضعف.

الآن أودّ منكم أن تنظروا إلى مصاحفكم ونسير سويّة في الآيات إلى أن نمرّ على ما في السورة من الكفاية، ثم بعد ذلك نختار مواطن ونشرحها إن شاء الله.

الموطن الأول: أموال اليتامى (الآية ٦):

نبدأ بالآية السادسة، انظروها في مصاحفكم: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا}.

كما هو ظاهر في الآية، أن الأمر يتصل بأموال اليتامى وبدفع أموال اليتامى إليهم من قِبل أوليائهم. هذا موقف من المواقف التي تحصل في الحياة، هذا الموقف فيه

طرفان، وربّما أحد الطرفين تصرف بالطريقة غير المناسبة؛ ربّما الولي دفع المال ناقصاً، وربما اليتيم افترى على الوليّ أنه دفع المال ناقصاً، فربّ العالمين يشير إلى الطرفين: {وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا}.

أيها اليتيم؛ يكفيك الله محاسباً وسيردّ عليك مالك. وأيها الولي لليتيم؛ اعلم أن الله يعلم باطنك كما يعلم ظاهرك، فإذا قمت بما يجب عليك وحصل من اليتيم أن افترى عليك أنك ما سلمت ماله أو كذا، فالله كفى به حسيباً. فالله يطمئن كلا الطرفين أنه كافيهم هذا الأمر. وهنا كأن النفس تطمئن أنه ما في شيء يضيع، وحتى لو ما عندي يعني اليتيم هذا ما عنده حول ولا قوة، صح كبُر وأصبح راشداً ودُفع إليه ماله لكن يمكن أن يحصل تلاعب في الأوراق أو الحسابات وما عنده دليل يعيد ماله إليه، لكن {وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا}. أو هذا الوليّ قام بكل ما يجب عليه وهذا اليتيم أتى أحد وتلاعب في عقله فاتهم الولي، {وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا}. وهذا أمر واضح وتلحظينه من أول السورة أشرنا إلى هذا لنتصور أن كل نواحي الحياة **وكل مواقف الضعف تصبح هذه المواقف مواقف قوة وسكينة للنفس لو اكتفى الإنسان بالله عزوجل.**

الموطن الثاني: كفاية الولاية والنصرة (الآية ٤٥):

نأتي الآن إلى الموطن الثاني، وهي أكثر الآيات ملامسة لواقعنا، وهنا ننظر إلى الآية ٤٥، لكن سننظر للتي قبلها أيضاً (الآية ٤٤): {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا}.

هذه الآيات الكريمات تشير إلى شأن من الشؤون التي وقعت على الأمة ولا زالت تقع: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ} لا تغترّ بهم، فتقع في شراكهم: هؤلاء بأنفسهم يشترون الضلالة، يعني يحبونها محبة عظيمة، يؤثرونها إيثار من يبذل المال الكثير في طلب ما يحبه، فيؤثرون الضلالة على الهدى ويؤثرون الكفر على الإيمان. ويا ليتهم يفعلون هذا لأنفسهم ويكفوا الناس شرهم، لا طبعاً لن يفعلوا هذا، هم بأنفسهم ضالون واصلون في حبهم للضلال أن {يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ}، واصلون في حبهم للضلال أن يتمتعوا به تمتع من يحرص على أن يشتريه بماله، وكل زمن يخرج من فضائحهم وبلاءاتهم على البشرية والعالم ما يزيد تصور معنى {يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ}.

يا ليتهم يجعلونها على نفوسهم وينتهوا، لكن رب العالمين يفهمنا أمراً خطيراً: {وَيُرِيدُونَ} (إرادة قلبية جازمة) {أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ}، حريصون على إضلالكم غاية الحرص، وإذا كان بهذه الصورة إذاً سيبذلون جهدهم في ذلك.

طيب ماذا نفعل؟ وهم يحيطون بنا إحاطة السوار بالمعصم؟ ماذا نفعل؟ خصوصاً أننا في أحيان كثيرة يكون في موقف ضعف نفسي وإلى آخره. رب العالمين يعلمنا ماذا يجب أن نعتقد وماذا يجب علينا أن نسلك؟ خصوصاً وهم مجهولون: تحركهم مجهول، اتفاقهم مجهول، شؤونهم مجهولة. فرب العالمين يطمئننا: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ}، يا لها من كلمة عظيمة! يا لها من عقيدة مطمئنة! الله المحيط علمه وقدرته بكل شيء، له العلم المطلق بأعدائكم كلهم: هؤلاء وغيرهم،

- أعلم بما في بواطنهم،
- أعلم بخططهم،
- أعلم بمقاصد أعمالهم،

- أعلم بما في صدورهم من العداوة والبغضاء، وقد جمعوا الضلالة والإضلال، وما في حال أسوأ وأقبح من هذه.

طيب ماذا نفعل؟ أولاً: نعتقد أنه أعلم بأحوالهم وأعلم بخططهم، فإذا كان الله الذي له الكمال والجلال والعظمة ونحن مؤمنون أنه أعلم بهم، ماذا نفعل؟ {وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا}.

معنى الولاية وكيفية نيلها:

وهنا الأمر يحتاج إلى شيء من التفصيل من أجل أن تكون عقيدة في قلوبنا: نحتاج أن نتخذ الله ولياً ونكتفي بولايته، ونحتاج أن نتخذ الله نصيراً ونكتفي به نصيراً. فلو بدأنا في مسألة الولاية، ما معنى أن أتخذ الله ولياً؟

هذا يستلزم تصور :

- **ضعفنا وقوة الله،**
- **فقرنا وغنى الله، عجزنا وقدرة الله؛**

فيأتي الضعيف الفقير العاجز إلى القوي الغني القادر ويقف عند بابه ويعلن عن فقره وضعفه وعجزه ويقول: "أنت وليي، تولَّ أمري، لا ولي لي دونك" أنت تتولى الصالحين وأنا أرجو أن أكون من الصالحين

وهنا يظهر لنا شرط مهم لولاية الله قد أخبر الله به في خاتمة سورة الأعراف (الآية ١٩٦): {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}. في هذه الآية العظيمة نسمع خبراً يخبر به أهل الإيمان وعلى رأسهم رسول الله ﷺ، خبر فيه إعلان لولاية

الله، إعلان عن حقيقة العلاقة بين أهل الإيمان وربهم العظيم؛ {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ}المتولي أمري، الذي يتولى جميع أموري، ناصري، هو الله الذي له الكمال والجلال والعظمة، في مقابل الذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون. لكن ولي أنا -وأنا مؤمن بالله- هو الله العظيم، ناصري وكافيّ، فهو الذي يجلب لي المنافع ويدفع عني المضار. ومن ولايته أنه نزل الكتاب الذي فيه هدى وشفاء ونور، فمن ولايته لعباده أن أنزل الكتاب ليعرفوا الحق ويعرفوا من وليهم الحقيقي، حتى يعقدوا في قلوبهم الحقائق والمفاهيم الصحيحة، فيتولاهم غاية الولاية فيصلوا من ولايته إلى كل منفعة وخير في دينهم ودنياهم.

إذن وليّ هو الذي يتولى تحصيل منافع الدين ومنافع الدنيا وكل منافع الدين والدنيا إنما يحصل باللإقبال على الكتاب

أريد أن يكون الله ولي، ماذا أفعل؟ أخبرنا في الآية نفسها: {وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}. يعني كن صالحاً، تقرب إلى الله شبراً يتقرب إليك ذراعاً، فإذا كنت صالحاً تولاك الله فلا يضرك عدوّ من الأعداء.

وقد ذُكر عن عمر بن عبد العزيز -وقد اشتهر بزهده- أنه ما كان عنده ما يدّخره لأولاده، فقيل له في ذلك -يعني خذ من هنا ومن هنا وأنت ولي أمر المسلمين-، فقال: "ولدي إما أن يكون من الصالحين أو من المجرمين؛ فإن كان من الصالحين فوليّه الله، ومن كان الله وليًا فلا حاجة له إلى مالي" – هنا يقصد بالمال الذي يأتي بطرق خبيثة - وإن كان من المجرمين فقد قال الله: {فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ} فتصوروا هذه الثقة واليقين في تولي الله للصالحين، يتولاهم ولاية تامّة ، ينصرهم، يكفيهم ما أهمهم.

أنا ليس لي وليّ إلا الله، والطريق أن أكون صالحًا، وفي أول السورة {ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف ٣] فالإشكال الحاصل أن يكون الإنسان ليس مكتفيًا بولاية الله ولذلك: لا تتبعوا من دونه وليًا، كن من الصالحين يتولاك رب العالمين.

الكلام عن الولاية كلام طويل، لكن في القرآن مايغني عن ذلك {أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ} [يونس ٦٢]

لما تكون لله وليًا فما لنتيحة؟

أثر ولاية الله في فهم الأحداث (سورة الأنعام):

نعود الآن لآية سورة النساء (الآية ٤٥): بعدما عرفنا أن هناك أعداء يشترون الضلالة لأنفسهم ويريدون لنا أن نضل، ما الذي يرد شرهم؟

هذا اليقين أن "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ"؛ فلا تقلقوا ولا تنزعجوا انزعاجاً يمنعكم من البقاء على الصراط المستقيم، إنما تيقنوا أن الله أعلم بأعدائكم، وأن الله كافيكم أعداءكم. متى؟ متى ما اتخذتم الله ولياً، وهو يتولى الصالحين.

{وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا}: يتولى أموركم، يتولى أحوالكم، يلطف بكم في جميع أموركم، وييسر لكم ما به سعادتكم وفلاحكم، ويرد عنكم شرّ أعدائكم.

فيا لولاية الله ما أعظمها!

يا ولاية الله كم لها أثر على النفس!

بعد أن عرفنا ولاية الله وأنه يتولى الصالحين ،**بقي أمرمهم وهو الاكتفاء بولايته؛** فنحن نثني على الله سبحانه وتعالى بالكفاية التامة في الولاية ونقول: "يكفينا الله ولياً يتولى أمرنا". **هذه الكفاية معناها أن الإنسان لا يلتفت لغير الله، ولا يرتبط فؤاده بغيره؛ فإذا تولاه الله صنع له ،ويسّر له.**

وكما قررنا سابقاً، **هذه الولاية أثرها:**

- أن يمدّ الله الإنسان بالأسباب أيسر مايكون .
- أن يبارك له في قليل الأسباب.
- أن يدخل في قلبه الراحة والقناعة.
- أن ينوّر بصيرته فيرى الأمور على حقيقتها.
- أن يحقّر في قلبه شأن الدنيا
- أن يعظم في قلبه شأن الآخرة.

لا تقلق فولاية الله أثرها عظيم على شؤون العبد وعلى قدر ولاية العبد التى يقوّيها بالصلاح تحصل الكفاية من رب العالمين.

من هو مكتف بالله يكفيه الله!

ليس عندنا مشكلة مع السبب، أولياء الله يفهمون أن الله يربيهم؛ يمد لهم في هذا السبب ويمنعهم من هذا السبب، ييسر هذا ويصعب هذا، وكل هذا يفهمون من ورائه أنها تربية. وأن الدنيا لو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها

كافراً شربة ماء، لكنها مدرسة يتعلم فيها العبد؛ **فينظر لكل الأمور أن وليّه يربيه، يعطيه** متى ما كان هذا نافعاً، ويمنعه ما كان ضاراً، ويفتح له باباً للخوف وباباً للرجاء وللتضرع وهكذا .

← ومن أفعال وليّنا الذي يتولانا وهو يتولى الصالحين أنه **فهّمنا في الكتاب كيف أنزله كيف نقرأ الأحداث**، كما في سورة الأنعام (الآية ٤٢): { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} [الأنعام ٤٢]

عرفنا من ختام سورة الأعراف أن من أثر ولاية الله إنزال الكتاب ، وهذا فيه دلالة عظيمة على أن الله ولينا من ولايته أن يبين لأوليائه ويفهمهم ويفسّر لهم الأحداث التي تدور حولهم ، ننظر للآيات في سورة الأنعام:

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ} : الله أرسل الرسل فبلغوا الرسالة.

وهؤلاء الخلق حصل منهم تجاهل الرسالة، فالله يربهم : {فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ}:

١. البأساء: (الشدة، القحط، الحرب).

٢. الضراء: (المرض، نقصان الأنفس والأموال).

لماذا يحصل هذا الأمر؟ لأجلهم: {لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}، لعلهم يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون من المعاصي، من الكفر، فالنفوس تتخشّع عند نزول الشدائد، رب العالمين يفسر لنا وهو ولينا، لماذا تضطرب الأمور الهادئة، لماذا بعد الرخاء تأتي

الشدة للناس؟ لو بقي الماء راكدًا لتعفن، ولو بقي الدم جامدًا لخبث، ولو بقي الناس في نعماء رغم معصيتهم سيؤخذون بغتة، فأخذهم الله {بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}، من ولاية الله أن يفهمنا، ويبين لنا ربنا أنه يوجد جنس من هؤلاء الخلق لما يأتيهم ما يأتيهم لا يحصل منهم التضرع {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا} كأنه يقال لم يتضرعوا، لم تحصل التوبة، ولم يحصل ما يجب أن يحصل، بل حصل خلاف ما يجب أن يحصل.

ما أراد الله إهلاكهم، إنما أراد الله أن ينبههم على النعمة التي هم فيها، أن يحصل اعتراف بالذنب وتوبة، فالله قدّم لهم عذابًا قبل العذاب الكبر، ماذا حصل؟ {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا}، كأنه يقال لم يحصل هذا، بل حصل خلاف ما يجب أن يحصل، أصبحوا متكبرين وما رجعوا عن الباطل وقلوبهم ما تأثرت، بل أصبحت قاسية، والشيطان وجد له منفذ فزيّن لهم هذا، وقال لهم هذه أمور تصيب الناس- كما في آية الأعراف- ولا تقلقوا – وهذا أمر عادي - ومحنة سنتجاوزها ووباء وسينتهي، على آخره. فلما حصل منهم النسيان لما يجب أن يتذكرونه، والنسيان هنا بمعنى الإهمال، بمعنى ترك العمل فقست قلوبهم نتيجة :

- إهمالهم
- وتزيين الشيطان أعمالهم،

فما فكّروا وما تفطّنوا وما اهتدوا أن يتداركوا الأمر، ما فسّروا هذا الواقع كما ينبغي أن الله ذكرهم عقابه العظيم بما قدم إليهم من البأساء والضراء، فلما نسوا هذا التذكير من رب العالمين المتوقع أن يأخذهم مباشرة، لكن يمكر الله بالماكرين {فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} فتحت الدنيا، ما انفتحت فرجة، بل أبواب، وقتما أُخذوا بالبأساء والضراء سُدّت أبواب ولما ما قاموا بما يجب عليهم ونسوا وما تضرعوا فتحت لهم كل الأبواب، أبواب كل شيء، لما أعرضوا عن الاتعاظ يفتح لهم أبواب كل شيء من الخير؟ نعم، لأن هذا جزاء الماكرين، مكروا بآيات الله فمكر الله بهم فلما تأتيهم الخيرات يقولون نحن سائرين على الصراط المستقيم، لسنا مخطئين، حتى إذا بطروا بالنعمة وأكملوا وضعهم كما هو، يأتي الأمر الذي لا رجعة فيه {حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا} فرح الأشر والبطر ونسيان المنعم، عز وجل، أخذهم هذه الأخذة الأليمة {أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً} وهذا يمكن أن يكون لعامة الناس أو شخصًا، شخصًا. فإذا هم في حالة من اليأس متحيرين، لا يعرفون إلى أني يتجهون.

الله في كتابه بيّن لنا أنه لا يبقى الدنيا على حالهم، بل يبتليهم بالبأساء والضراء ويذكرهم علهم يتذكرون ويوحدون وتطهر أنفسهم، فابتلاهم الله بالضرّ ثم ابتلاهم مرة أخرى بالخير لتكون كل أسباب التذكّر والخوف موجودة، ثم كانت هذه حالهم فأخذهم بغتة. وهذه الآية نقرأ مثلها في سورة الأعراف {أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ} لكنهم ما تضرعوا!

{ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا}، يفسرون الموقف بقولهم {قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} فتصوري وليّنا الله الذي يتولى الصالحين كيف أنزل الكتاب لنعرف كيف نقرأ الأحداث؟، لنعرف أن ربنا ولينا يربينا، لما تنزل علينا النعماء يذكّرنا، لما تنزل علينا البأساء يذكرنا، لكن لمّا الشيطان يفسّر للشيطان تفسيرات أخرى يكون الإنسان ما انتفع مما أنزله الرحمن من القرآن، **لأن من يعرف رب العالمين يعرف أن القرآن نزل من أجل تكوين المفاهيم في القلب وثباتها**، لأجل أن نفس المواقف بالطريقة الصحيحة، لذا أذكركم لما خرج قارون على قومه وهو في حالة التزيّن، الكلّ نظر إلى نفس المنظر لكن كلًا فسّره على حسب ما في قلبه من حق أو باطل، وهكذا تأتي الأمور، **نفس الموقف كل يفسّره على حسب ما في قلبه من إرادات ومفاهيم، فهذا من آثار ولاية الله وهو يتولى الصالحين**. فنحن نكتفي بالله وليًا ونعرف طريق الولاية ونقول هو يتولانا، سبحانه وتعالى، يتولى شأننا وكلٌ في مكانه يعرف كيف يتولى الله شأنه، كيف يخرج الإنسان من حوله وقوته إلى حول الله وقوته كيف يأخذ بالسبب ويطلب من وليه أن ينفعه بالسبب ويبارك له فيه.

نعود إلى آية النساء (٤٥) مرة أخرى، ولا زلنا نناقش كفاية الله، عز وجل، {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا} فهمنا أمرين أساسيين:

- كيف يتولى الله شأني؟ وفككنا هذا الأمر على ما يسّر الله.

- والشأن الثاني أن نكتفي بولايته فلا يلتفت قلبنا لا يمنة ولا يسرة ولا يكون في قلوبنا شعور أبدًا أن الله ولينا وغيره وليا {وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا}،

ومثله يأتي معنى آخر {وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا} يتولانا وينصرنا على أعدائنا، يبين لنا ما أحذ منهم، يعيننا عليهم، وانظر من أول المواقف والأحداث التي حصلت مع النبي، ﷺ، كيف كان الله له وليًا، وكيف كان نصيرًا. كيف يخرج من بيته مهاجرًا ويكون اجتمع عليه أعداؤه، فيغشي الله أعينهم ويحمل حفنة من التراب فيرشها على وجوههم ولا تعود روح ولا واحد إلى بدنه ولا يحرك فيهم أحد ساكنًا، والسبب خارج عن قدرة النبي ﷺ، خرج مهاجرًا لكن الله هيّأ له أسبابًا عظيمة باقية أكثر من ألف وأربعمئة عام، لا زال الناس يذكرونها وأخبر الله عنها في كتابه، موقف كان غاية في الصعوبة حتى أن أبو بكر رضي الله عنه الذي كان كالجبل وقع في نفسه ما وقع، ربّ العالمين يقول لنا عن هذا الخبر {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} فصنع الله له ما صنع، ﷺ. فحصل بولاية الله لرسوله الخير وحصل بنصرة الله لرسوله زوال الشرّ، فلمّا اتخذه وليًا وأعظم ما يحتاج إلى الوليّ فيه النصرة، فهو نصير لمن والاه، فلا تضرّه عداوة أحد، فثقوا بولايته ونصرته ولا تبالوا بأحد منهم، لا هم ولا غيرهم، فهو سبحانه وتعالى، يكفيكم الجميع، ولا تظن في هذا الموقف أن هذا معناه أنه لا أحزان ولا آلام ولا أيّ من أمور الدنيا تحصل.

نقرأ في موطنين طريقتين لتعامل الله مع هؤلاء الأولياء ونصرته لهم فنقرأ سورة يس ونسمع عن (مؤمن آل يس) الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وأنه نصر الدين

بنفسه وهو غاية في الضعف ونسمع أنهم قتلوه، **والله، عز وجل ما ذكر هذه التفاصيل، بل ذكر أنه نصر الدين و أنه أصبح في جنّات النعيم** قال {يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ} وهذا الأمر من اللطاف، **لما تقرأ** تسمع {إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ} إلى هنا {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ} اعتدوا عليه وقتلوه وقيل له ادخل الجنة {قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ} بسبب ما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين، نصره الله بالثبات والبقاء على الحق، نصره الله نصرة جعلته مذكورًا إلى قيام الساعة، لذلك النصر له أنواع، وانظر إلى هذا المعنى العظيم، الذي يفهمه المؤمنون؛ **لما** بعث الرسول، ﷺ، عشرة، منهم خبيب الأنصاري، في حادثة معروفة وخرجوا من الحرم ليقتلوه، فقال خبيب، رضي الله عنه:

ولَستُ أُبالي حينَ أُقتَلُ مُسلِمًا ***على أيِّ شِقٍّ كان للّهِ مَصرَعي

وذلك في ذاتِ الإلَهِ وإن يَشَأْ *** يُبارِكْ على أوصالِ شِلوٍ مُمَزَّعِ

هو يقول هذا الخبر، يقول لو كنت سأموت على هذه الحال وأنا مسلم فلا أبالي!، وإذا راجعنا هذا الخبر سنجد أنه كان محبوسًا عند امرأة، وقالت هذه المرأة والله ما رأيت أسيرًا قط خيرا من خبيب، والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده وإنه لموثوق في الحديد، وما بمكة من ثمر، **تصوّر هذه النصرة!** وفي النهاية قتل، **فالنصرة ليست كما يتصوّر الإنسان أنه لا بدّ أن يكون صورة واحدة للنصرة**، سمعنا عن مؤمن آل يس نصر بموته على الإيمان وثباته على ذلك وذكره، ورأينا

أيضًا نصرة الله لمؤمن آل فرعون، ما ورد أنه قتل لكن ثبت على الدين وبقي ذكره إلى يوم الدين قرآن يتلى إلى قيام الساعة، فهذه نصرة وهذه نصرة، لها أنواع.

انظر إلى النصرة العظيمة في سورة البروج؛ **كيف يلقون في النار ويثبتهم رب العالمين**، ينصر ما في قلوبهم من إيمان، وليهم يتولاهم، كما تولى الله، عز وجل، خبيب حتى أنه حصلت له هذه الكرامة فأكل من الثمار ويده في الحديد {وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا} **اكتفينا بك يا رب العالمين وليًا تتولى شؤوننا ونصيرًا تنصرنا، ومن اكتفى بالله كفاه، وهو يمدّ للخلق من الأسباب التي تكفيهم وتغنيهم وتيسّر لهم كل الأمور**. فولينا هو المتصرف، يقرب الأسباب ويدفع الأعداء ويهيء أحوال لا تمرّ على خاطر الإنسان. فليكن في قلوبنا الإيمان بالله، إيمانًا يجعلنا نردّ وساوس الشيطان ونكتفي بالله فنتولاه وولي هو أمورنا، نكتفي به نصيراً ينصرنا ونثق بولايته ونصرته ولا نتولى غيره.

نسأل الله بمنه وكرمه أن تكون **هذه المعاني ثابتة في نفوسنا ثباتًا يجعل نفوسنا تسكن**، لأن من اكتفى بولاية الله تثبت نفسه وتسكن، لأنه يعلم أن الأمر بيد الله وأن لله ما في السماوات والأرض، إذا كان الأمر بيد الله ونحن عبيد الله ما يقع إلا ما شاء الله. والحمد لله على أن تولانا وأنزل الكتاب، الحمد لله أن علمنا طريق هذه الولاية، نسأل الله أن ييسرها لنا ويجعلنا فيها صادقين، اللهم آمين.

غدًا إن شاء الله نكمل المواطن التي وردت في سورة النساء وفي سورة الأحزاب وغيرها وهو موضوع كبير ومهم **لا بدّ أن نأخذه على محمل الجد ونكّونها في نفوسنا**

ونثبتها ونحدث بها نفسنا نسأل ربنا أن يثبتها وننشرها ونغيظ أعداءنا من شياطين الإنس والجن بولاية ربنا، واكتفائنا بولايته، واكتفائنا بنصرته، والحمد لله رب العالمين.

اللقاء الرابع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. بسم الله توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

نبدأ مستعينين بالله في هذا اللقاء الختامي الذي نختم به مناقشة هذا الموضوع؛ ليس لأن الموضوع انتهى، بل لأن أيامنا محدودة. فمثل هذه المواضيع يجب أن تأخذ حيزاً أكبر من الوقت ومن العناية، حيزاً أكبر تتعدل به المفاهيم وتحسن به المسالك والتصرفات.

على كل حال، نحن الآن في هذا الزمن المحدود نفعل ما نستطيع، وربّ العالمين ييسرّ لنا الأمور ويبارك لنا في قليل العلم؛ إذا عملنا به زادنا علماً سبحانه وتعالى.

نحن نقول: هذا آخر لقاء لنا، لكن الموضوع لم ينتهِ، طب ماذا نفعل؟ **عندنا خطوتان مهمتان نفعلهما لكي نُلِمّ بهذا الموضوع:**

- **الخطوة الأولى**: أننا نعمل بما تعلمنا، فيعلمنا الله ما لم نتعلمه.
- **الخطوة الثانية**: نزداد في طلب العلم، وفي فهم الأمور، ونحاول جاهدين متوكلين على رب العالمين أن لا ننقطع عن العلم أبداً.

نحن اتفقنا أننا اليوم، بإذن الله، نكمل الكلام عن "**كفاية الله**" كما وردت في سورة النساء. وهنا نريد أن نؤكد أننا لما نسمع هذه الآيات في القرآن، ونسمع أن رب العالمين يأمرنا أن نتخذه وكيلاً -مثلاً مثلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم في سورة

المزمل: {فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا} [المزمل ٩] ، وفي سورة النساء سمعنا: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا} [النساء ٤٥] فعلينا أن نتخذه ولياً ونصيراً. لما نسمع هذه الآيات، نعاملها المعاملة التي عاملها النبي - صلى الله عليه وسلم -وأصحابه الكرام؛ "**نتأوّلها**"، وقد مرّ معنا هذا الأمر.

وأذكركم بنصين:

- **النص الأول:** عائشة رضي الله عنها بعدما نزلت سورة النصر سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يسبح ويستغفر، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم: "ما هذا الحدث الذي جعلك تجمع بين الأمرين؟" أشارت هي - رضي الله عنها- من فهمها لكلام النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه "يتأوّل القرآن"، يتأول سورة النصر؛ إذاً يحولها إلى معنى ومفهوم يعيشه الإنسان بقلبه وينطقه بلسانه .
- **أيضاً هناك شاهد آخر:** نختصر الكلام، أذكركم بدخول عمر بن الخطاب إلى المسجد وقد أمّ المسلمين أحد الأصحاب الكرام -كما ورد في الرواية- وكان يقرأ من الذاريات، وقرأ: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذاريات ٢٢] ، فرفع عمر -رضي الله عنه- صوته وقال: "وأنا أشهد أن في السماء رزقكم وما توعدون". إذاً، هذه المعاني تستقر في القلب استقراراً يجعل الإنسان يرى الحياة من خلال هذه المعاني، يرى الحياة من خلال هذه المعاني، وهذا من تأوّلنا للقران.

وهذا معنى مهم جداً؛ يعني بعد ما نتلو ونفهم القرآن على نهج السلف الصالح -وكم ترك الأول للآخر، وكم يسّر الله اليوم للوصول إلى التفاسير، وكم يسّر الله اليوم علماء يرشدون في ذلك- بعد ما نفهم هذا كله، كان واجباً علينا أن نحوّله مفاهيم نضعها في قلوبنا وعقيدة نعتقدها، ومن ثَمّ مسلك نسلكه.

ولذلك، أنتِ لما تقرئين مثلاً الآية التي مرّت معنا في سورة الأعراف، وكيف رب العالمين يخبرنا هذا الخبر المهم عن رسوله الكريم وعن كل من سار على درب الرسول: {قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ} [الأعراف ١٩٥] ؛ أنتم أعداء وعندكم قدرة؟ كيدوا كيدكم ولا تنتظروا ولا تتأخروا. لكن، من الذي سيحميك؟ فتأتي هذه الجمل العظيمة التي يجب أن تكون عقيدة في داخلنا: مَن ولينا؟ {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف ١٩٦] وأرشدني إلى طريق ولايته {وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} ؛ فكن صالحًا يتولاك الله. فأنتم أجمعوا كيدكم ولا تتأخروا، ونحن نعلم مَن سيدفع عنا وكيف نصل لأن يدفع عنا: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا} [النساء ٤٥] هذه العقيدة العظيمة التي يحملها المؤمن نتيجة تلاوته للقرآن، ونتيجة فهمه للقرآن على فهم السلف الصالح، ونتيجة معرفة أن هذا الفهم يجب أن يتحول إلى عقيدة، وأن تكون هذه المفاهيم في نفسه عقائد، فينظر للحياة بهذه الطريقة. وكلّما هاجت نفسه عليه -لأن النفس أمارة بالسوء- وكلما حصلت ضغوط حوله، ذكّر نفسه: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا} [النساء ٤٥] وهنا لا بد من التنبيه على شيء مهم في فهمنا

لمعنى "الكفاية": نحن نعرف أن الله يكفي مَن يتولاه، وهو عزّ وجل يتولى الصالحين كما في آية الأعراف. فنحن لا بدّ أن نطلب الطريق الذي يوصلنا لأن نكون صالحين، وهذا معنى دعائنا: "اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر"؛ لأن الله قد عهد للخلق سبحانه وتعالى وتفضل عليهم أن أوجب على نفسه الرحمة، كما في سورة الأنعام: {كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام ١٢] من تفضله على الخلق.

طيب، لما كتب على نفسه الرحمة عز وجل، جعل هناك "**موجبات**" للرحمة؛ لو أتيتِ أنتِ بها الله يرحمك. فإذاً الله يتولى الصالحين ويكفيهم وينصرهم ويتولى شأنهم ويدبّر لهم وييسّر لهم. طيب، هل أنا من الصالحين؟ سأبحث عما يصلني لأن أكون صالحاً. وأول الأمر، أنا أعتقد أن الله قد يسّر السبيل للصلاح، وأمرنا أن نسأله موجبات رحمته وعزائم مغفرته. فهناك أمور توجب الرحمة، وهنا كلمة "توجب" تفهمي منها مباشرة أن هذا من تفضّل الله علينا؛ لأنه كتب على نفسه الرحمة سبحانه وتعالى.

والحمد لله الذي كتب على نفسه الرحمة ودلّنا على طريق رحمته، والحمد لله الذي جعل من الخلق أولياء له ودلّنا كيف تكون هذه الولاية، والحمد لله الذي يكفي أولياءه وينصرهم. وهنا يجب أن نؤكّد أنه لما أنت تتخذ الله ولياً بطريق الصلاح وتتخذه نصيراً وتقول خلاص ربنا سيكفيني، لا تأتِ وتقول: "مالذي يمكن أن يحصل؟ مانهاية هذه الأحداث؟" يعني أنتم تقولون: "آمن وتوكل على الله ربنا

يكفيك"، مالذي سيحصل؟ يعني سيطعمني ويسقيني ولا ماذا سيحصل؟ سينصرنا ونخرج معتزين ولا ماهي الأحداث بالضبط؟ ماهي الاحتمالات التي يجب أن تكون كذا؟ وضحوا لي الطريق!

تماماً نقول: أخطأت، المكتفي بولاية الله وبنصرة الله -والآن وهذا تمهيد للكلام عن {وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا} - وبوكالة الله لا يسأل عن التفاصيل، لا يقول: "لا أنا لن أكتفي بالولاية ولا أطمئن للنصرة إلا إذا رأيت علامات وقلتم لي بالضبط ما هي الاحتمالات القادمة ونريد خطة واضحة ماذا سيحصل لنا". لا، ليس هذا، ليست هذه الحال هي الحال اللائقة بالإنسان المكتفي بولاية الله؛ بل الإنسان المكتفي بولاية الله وبنصرة الله يعلم أن هناك أسباباً ما تمرّ على خاطره تأتي بنتائج لا تمرّ على خاطره. بس أنت افعل ما توعظ به؛ أنت لن تبقى متكئاً ومرتاحاً، لا.

ولله المثل الأعلى، لما تسمع أنه {وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا} -و{وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا} قد تكررت في سورة النساء ثلاث مرات، بالإضافة إلى أنه مر معنا موطنان في المزمل وفي الإسراء {فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا} [المزمل ٩]و{أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا} [الإسراء ٢]- ولله المثل الأعلى، الناس يعرفون معنى الوكالة لمن يذهبون عند محامٍ ويوكلونه؛ ها هم يسعون، يأخذون السبب ويذهبون عند المحامي، وهم يبحثون عن محامٍ له صفات معينة: عنده علم، عنده قدرة، يستطيع أن يقلب الأمر، عنده كذا وكذا من الأمور. يبحث عن صفات معينة، ثم هذا المحامي يقول لهم: "أحضروا لي الورقة الفلانية، أحضروا لي الورقة العلانية، اذهبوا إلى كذا، افعلوا كذا"، وهم يستجيبون وكل ما

أمرهم يستجيبون. هو الموكّل بالإتيان بالحق وهم يفعلون أسباباً؛ ما يعرفون أين سيضع هذا السبب، ماذا سيقول، كيف يرتب، أي قانون يستعمله، أي مادة سيناقش منها، لا يعرفون، لكن كل ما أمرهم بشيء أتوا به.

ولله المثل الأعلى، ماذا سيحصل؟ ماذا سيكون؟ ما هي الاحتمالات؟ هذا ليس شأني. {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ} [النساء ٦٧] ، هذا هو شأنك؛ **شأنك أن تفعل ما توعظ به. هذا الشأن الأعظم لك، لا تضيع وقتك في التفكير في الاحتمالات.** {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ} [النساء ٦٧] -يعني ما يؤمرون به- ماذا ستكون النتيجة؟ النتيجة واضحة: {لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً}؛ يعني كان سيأتيهم الخير، ولو أن في هذه الآية في سورة النساء: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء ٦٦-٦٧] ما هم عارفون أين يذهبون؟ لا، ربنا سيهدينا. لا تكلمني عن التفاصيل، أن افعل ما تؤمر به، هذا أمر، هذا موضوعك. **كن صالحاً يصنع لك الله فوق ما تتصور، ويأتي بأسباب ما تمرّ على خاطرك، ويأتي بنتائج ما تتوقعها من هذه الأسباب**، وينفعك بمن لم تظن أن الله ينفعك به. فقط أنت افعل ما توعظ به وكن صالحاً؛ هنا الأمر أن تكون صالحاً لأنه هو يتولى الصالحين سبحانه وتعالى.

طيب، على كل حال، لما نريد أن نسير وما نعيد المعاني التي مرت معنا، دعونا نرى في "كفاية الله". دعونا نرى ما ورد في الخبر عن أنه عز وجل "كفى به": كما أنه "﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء ٤٥]. فكفى به عز وجل عليماً، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء ٧٠] يلا، نجد هذا في آية (٧٠)، نجد هذا في آية (٧٠). دعونا نذهب إلى آية (٧٠) في سورة النساء ونرى معنى كفاية الله لنا، وهنا سيتبين الكلام الذي مضى، الكلام الذي أشرنا إليه الآن. آية (٦٩) وآية (٧٠) تبين لنا المقصود. طيب، أحب أن تقرأوها من أجل أن نرى أو نتأمل في معانيها. طيب، سنسمع الآيات أولاً:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾.

نعم، هذه الآيات المباركات ظاهرٌ أنه في خاتمتها -في خاتمة الآيتين- **كفاية علم الله**. وفي مطلعها -في مطلع الآيتين-: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُول﴾، هذه هي الوظيفة. ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، فأولئك الذين سيفعلون هذا الفعل ويطيعون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على قدر حالهم، وعلى قدر الواجب عليهم وعلى قدر قدرتهم، أولئك سيكونون مع الذين أنعم الله عليهم، وأخبرنا عن هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً: حسُنوا أصحاباً

ومرافقين نجتمع معهم في جنات النعيم ونأنس بقربهم في جوار رب العالمين. نسأل الله من فضله.

هذا الأمر من فضل الله، لأن الله تفضل على الخلق أن جعل هذا السبب الذي هو طاعة الله والرسول -الذي هو هناك في المعنى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ} - يعني {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ} هذه آية ٦٨ والى أن نصل {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} [النساء ٦٦-٦٧]،ثم رب العالمين يقول: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ}، إذاً، أنت افعل الذي توعظ به وأطع الله والرسول، والله سيتفضل عليك. {وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا}؛ يعلم حالك، يعلم صدقك، يعلم ما في قلبك، يعلم جهدك. {وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا}؛ يعلم الصادق في إرادة الحق، الذي اتخذ الله حقاً وكيلاً، الذي اتخذ الله حقاً ولياً، الذي رغب في ولاية الله، الذي هو طامع أن يكون من أولياء الله، الذي أخذ الطريق السليم لهذه الولاية. الله أعلم به، الله أعلم به.

{وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا} بأحوالكم وبصدقكم، فهو المحيط بكل شيء علماً؛ يعلم الظواهر والضمائر، يعلم الصادق من الكاذب، يعلم اللي في قلبه قوة واللي في قلبه ضعف. فأنت لا تقل "أنا مكتفٍ بالله" وتظن أن الأمر دعوى؛ لا، لن تسكن نفسك إلا إذا حصل منك الاكتفاء الحقيقي بالله، وكل ما هاجت واضطربت أنت تسكنها،

وكل ما خافت وانزعجت أنت تطمئنها بكفاية الله وتقول: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا} فتأخذ كل طريق لولايته سبحانه وتعالى، وهو يتولى الصالحين سبحانه وتعالى، ويعلم مَن هم الصالحون. فطريق الصالحين كما هو واضح: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} كانت حصلت هذه النتائج، ويدور فعل ما وعظك الله به في أن تطيع الله والرسول. وإذا فعلت هذا، جعلك الله مع هذه الزمرة الذين حَسُن مرافقتها.

طيب، يعني ممكن يدعي الإنسان؟ لا، {وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا} ، وهذه كانت آية (٧٠).

ويكفي في هذا المعنى نذهب لآية (٧٩) الآن، نذهب لآية (٧٩) والتي سنجد فيها كفاية شهادة الله، وهي كلها معاني تكمل بعضها بعضاً. الآن نجد -إن شاء الله تكونوا وصلتم إلى الآية- نجد في آية (٧٨) معنى مهماً ويكمله آية (٧٩):

{أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} [النساء ٧٨-٧٩] **تعالج الآيات معنى** غاية في الأهمية، معنى عميقاً في نفس الإنسان يسبب لها الاضطراب: **الخوف من الموت والهرب منه، واعتبار أن كل سبب من الأسباب التي يتصورها** الناس هو الذي سيدخلهم إلى الموت. السياق هنا في الجهاد؛ أن القتال في سبيل الله سيسبب الموت.

ودائماً تذكروا في هذا المعنى كلام خالد بن الوليد رضي الله عنه، هذا الذي لُقّب بسيف الله المسلول: لا يوجد شبر في بدني إلا وفيه طعنة أو سهم أو كذا من الأمور المعروفة في ساحات الوغى، ومع ذلك مات على فراشه! ولذلك له قولة مشهورة: "فلا نامت أعين الجبناء". الجبناء الذين ما عندهم شجاعة وإقدام يتصورون أن مجرد دخولهم هذا الباب يعني الموت. الحقيقة أن الموت قدر محتم سيصيب الإنسان في وقته، وهذا نفس الأمر في المرض؛ دائماً الأمر عندنا أنه مرض، هذا المرض إذاً سيموت. الموت قدر محتم يأتي في وقته، وقد ينجو الإنسان من أمراض ويخرج منها لأنه لم يقدر له الموت، وقد ينام على فراشه فتقبض روحه. فهذا شأن عند الله.

وهنا الآيات تقول لنا كيف نفكر؟

الناس إن تصبهم حسنة يقولوا هذا ربنا رزقنا ربنا راضٍ عنا، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذا يعني من تشددكم من منهجكم من كذا. أولاً لازم تؤمن أن هذه كلها إنما تقع قضاءً وقدراً، تقع قضاءً وقدراً. وهذا الكلام: أنه لما تأتي الحسنة يقوم يعتبر الإنسان نفسه أن ربنا راضٍ عنه، وإن جاءته سيئة معناه أن هذا يعني كأنه دينكم أو منهجكم أو أنتم حسدتمونا أو كذا وكذا، هذا كلام "**إنسان لا يفقه**"، لا يفقه. أولاً كل شيء بقضاء الله وقدره، وما يصيبك شيء إلا والله مقدّره، هذا الأمر الأول.

نأتي للأمر الثاني: أقدار الله لها أسبابها، لها أسبابها باختصار. فـ "{مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ} يعني مَنّ بها ويسرها بتيسير أسبابها، وفيها من فضل الله الشيء العظيم. فكن مؤدبًا، تعلم الأدب لملاحظة السبب. كل شيء يعني تأدب ولاحظ السبب؛ {مَّآ

أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ} نعمة دينية أو دنيوية -يعني قدّرت في دينك أن تفعل شيئاً أو في دنياك- {فَمِنَ ٱللَّهِۖ} ، أوجدها الله وتفضل بها الله.

"وَمَآ أَصَابَكَ ".-والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم و لكل من يصلح له الخطاب- "وَمَآ أَصَابَكَ ".

وأنت خير الخلق " وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ۚ ".

يعني بمعنى بلاء " فَمِن نَّفۡسِكَۚ "." يعني بسببها. وهنا كما هو مفهوم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ويراد من ورائه غيرك من باب أولى. **إذاً السيئة إنما تأتيك بلاء والحسنة إنما تأتيك فضل من الله**، فلما تأتيك السيئة لا تبحث لك عن أسباب أخرى غير أنك أنت قد أسأت، فابحث عما يدفع عنك الإساءةالتي أسأتها مع رب العالمين.

وهنا دائماً تحصل مشكلة؛ طيب هذا المعنى قد يُشكل عليه أن "أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل". نعم صحيح وهذا معنى مستقر، فأنت الآن ربنا علمنا الأدب ولاحظ السبب. يعني أنت الآن ماشٍ في صراط مستقيم، متمسك بحبل رب العالمين، وطالب ولايته، والخطأ وارد على كل الناس؛ ما إن تخطئ إلا تستغفر، وفي نفسك الحياء من رب العالمين وتستغفر وتتوب وتقول سيد الاستغفار في أذكار الصباح وأذكار المساء وترجو أن تموت وأنت قد ذكرت سيد الاستغفار وقُبل منك، أنت ماشٍ تمام. لما تكون ماشياً تماماً على الصراط المستقيم وفعلت ما توعظ به،

وجاءك خلاف أصابك ما ظاهره سيء، هذا اختبار لإيمانك ويقينك وطمأنينتك لحكمة الله فيرفعك الله به درجات؛ هذا اختبار. لكن راجع نفسك، هل أنت ماشٍ على الصراط المستقيم؟ لكن لو كنت غير ماش على الصراط المستقيم وعندك ما عندك مثل ما يكون من عند الخلق كلهم، وفي تمادٍ وفي إسراف وفي استهتار وفي، والناس حرب وكذا وأنت تذهب لتكمل عمليات التجميل ولا تكمل أمورك الدنيوية، حتى الإنسان كأن قسى قلبه ويفكر في أمور الدنيا وهو ممكن الدنيا كلها تذهب عليه، هنا لا، لازم تراجع نفسك: {وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}.

وهذه المعاني إنما علمنا إياها رسولنا الكريم، رسولنا الكريم الذي آمنا به واستأمنا به على قلوبنا، رسولنا الكريم الذي آمنا به واستأمنا به على قلوبنا صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق الأمين. {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}: يشهد على صدق ما نقل إلينا وأمانته صلى الله عليه وسلم في هذا النقل. هذا موطن عجيب من مواطن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والطمأنينة لما جاءنا به الرسول صلى الله عليه وسلم. يعني ربنا هنا يقول {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} ، كفى به شهيداً على أن هذا رسول، على أنه كان أميناً، وعلى أنه أتى لكم بما يدلكم على الصراط المستقيم، وأنه أخبركم بالحقائق، وأن تفسيره وإنك لما تقرأ القرآن وتسمع كلامه وتفهم الحياة من خلال ما أتى به فأنتم في أمان. وهذا معنى الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا معنى الصلاة والسلام على رسول الله.

يعني المؤمن برسول الله معناه أمّن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخبار الغيب، أمّنه على أخبار الغيب. يعني **الإيمان هو أن "تستأمن المخبر على شيء غاب عنك"**، فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء بخبر السماء، ولذلك (٤٠) عاماً هو عندهم الصادق الأمين؛ صادق وأمين فنؤمن به، يعني نستأمنه على خبر السماء. وهذا يحتاج ربما مراجعة لمعنى الإيمان في اللغة، لأنه مثل ما قالوا {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ} يعني لا تأمننا على أن نغيب يوسف نأخذه عنك بعيداً. وهم بنفسهم لما جاء إخوة يوسف يكلمون يعقوب عليه السلام وقالوا له وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} يعني أنت لن تأمننا على خبر غاب عنك أن نخبرك به. **فالإيمان مبدأه أن تصدق الخبر بناءً على مخبر صادق عندك.**

ولذلك سنرجع مرة أخرى لهذه القامة العظيمة في الإسلام: **أبو بكر رضي الله عنه "الصديق"** كما مر معنا، صدّق النبي صلى الله عليه وسلم ، ائتمنه. {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} على أن الرسول أتى بالحق وأن اتباعنا له صلى الله عليه وسلم ونظرنا للحياة وللأمور من خلال ما جاء به من الوحي نحن في سلامة، سننجو بما قال صلى الله عليه وسلم إن اتبعناه كما ينبغي. وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أميناً على ما جاء به، وعلى أننا لما نؤمن بما جاء به الرسول أننا في أمن ونصل للأمن من فضل الله علينا.

على كل حال، ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ تخبرهم بالحقائق، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على أنك رسول حقاً أيدك بنصره والمعجزات الباهرة والبراهين الساطعة التي تدل على أنه صادق وأنه أدى الأمانة ونصح الأمة.

هذا أيضاً موطن آخر. لكي نأخذ بقدر المستطاع مواطن، نذهب الآن إلى آية (٨١)، هذه الآية قد مررنا عليها بس سأشير إليها إشارة من جديد، نسمعها أولاً: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء ٨١] .. كما يظهر، "يقولون طاعة": لاحظوا نحن من بداية مناقشتنا ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء ٦٦] ، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء ٦٩]إلى أن نصل هنا. هؤلاء المنافقون يقولون "طاعة"، يظهرون الطاعة كما مر. طيب، خرجوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم؟ حالة لا يطلع عليها أحد، يبيّت ويدبر غير الطاعة، يعني يدبروا الإثم والعدوان والمعصية. يأتون ويقولون لك "نحن يلا متفقين معك، نحن بيننا عهد، نحن سنعينك، نحن سنفعل لك"، اخرج من عندك .. ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ [النساء ٨١]؛ يعني هم يبيتون بمعنى يدبرون الأمر ليلاً، "أمر دُبر بليل". فالله عز وجل توعدهم على ما فعلوا، ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ يعني وسيجازيهم.

لكن أنت ماذا تفعل؟ افعل هذه الأفعال الثلاثة:

١. **أولاً لا تشتغل بهم**، لا تبقى تسمع أخبارهم. فعلوا وفعلوا -: "أعرض عنهم". وإذا كان عندهم شر لازم أتابعهم وأراقبهم؟ نعم ،ونحن نتكلم عنا نحن كعوام ما لنا في تدبير الشأن شيء، ماذا نفعل؟ نحن نعرض عنهم ولا ننشغل بهم.

٢. **ونتوكل على الله** ونعتمد عليه في رد شرهم.

٣. ويأتي الأمر الثالث المهم و**الإكتفاء بالله وكيلاً.**

يا لعظم هذا الأمر! {وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا} الذي له كمال العلم والإحاطة بكل شيء، وله كمال القدرة على كل شيء، كفى به وكيلاً. ووقتها سترى كيف ستكون عاقبة الأمر لأهل الحق وعاقبة الأمر لأهل الباطل. ماذا سيكون؟ لا ندري، نحن خلق ضعفاء. ماذا سيدبر؟ لا نعلم. لا تشترط أنك تعرف ماذا سيحصل، لكن الله سيوكّلنا، الله أمرنا وهو كفيل بالنصرة، كفيل برد الشر. إذاً {فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ} لا تعتنِ بهم، {وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا} وثق بالله في شأنهم فإن الله يكفيك شرهم وينتقم منهم، {وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا}؛ اكتفِ به وكيلاً يدفع عنك كل الشرور فلا تقلق، لا تقلق اطمئن.

وسيأتينا الآن ما يزيدنا طمأنينة، ولاحظي هذه السياقات كلها مع بعض: {مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ...} [النساء ٧٩] إلى أن نصل {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا

يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا} [النساء ٨١] مرة أخرى، سنجد {وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا} ونذهب إلى آية (١٣٢) ونجد ما يؤيد هذا المعنى ويطمئنك أكثر وأكثر. وهنا نلحظ أن السياق -ربما العقل ما يستطيع أن يستوعب هذه الانتقالة- إلا أن يعيد ويزيد، ويعيد ويزيد إلى أن يتصور هذا المعنى. دعونا نبدأ من آية (١٣١) في القراءة ونرى كيف تكررت هذه الجملة العظيمة التي تثير الطمأنينة، يعني (١٣١)، (١٣٢).

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} في مجموعة ملاحظات هنا؛ أولاً ثلاث مرات في آيتين {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}، هذه ملاحظة أولى. هناك ملاحظة أخرى: الآيات السابقة -السياق السابق- شأن اجتماعي؛ طلاق وافتراق. فرب العالمين يطمئن الأطراف كلها، يقول له {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا}، ما أعظمك يا رب العالمين! كان الله واسعاً كثير الفضل، واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه إلى حيث وصل إليه علمه، وعلمه محيط بكل شيء، وهو عز وجل حكيم يعطي بحكمة ويمنع بحكمة.

لما تسمعي {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ} وبعد ذلك تسمعي بعده {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}، فكن مطمئناً. لا تأتِ وتسأل: "يعني من أين سيأتي

السعة؟ من أين سيأتي الخير؟ كيف لما نتفرق يحصل هذا؟" وطبعاً هنا المقصود أن التفرق يكون بحكمٍ على مصلحة شرعية؛ ما دام على مصلحة شرعية انتهى، لا تقلق أبداً. فنجد تطميناً أن {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}، فهذا أمر مناسب للسياق.

تصوروا هذا الأمر في الحياة الزوجية، وتصوروه في كل الحياة: لما يكون الإنسان وصل إلى الضرر الذي يؤذي النفس ويضعفها عن القيام بحق الله، يعني من مجاورة أحد، من صحبة أحد، من التعامل مع أحد، مع التجارة مع أحد، مع أي شيء، والأمر هذا وسعيه ما أردتِ؛ متى ما حصل إيذاء {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ} من أين تأتي السعة وأنا هذا طول عمري أخرج أقضي حاجاتي معه، وهذا دائماً يعمل معي، وهذا ما في أحد غيره عنده خبرة... إلى آخر هذا الكلام. {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} ؛ فلا تظن أن هذا قد قيدك من رقبتك بحيث أنك لا تستطيع إلا أن تسير معه، لا. <u>ما دامت المصلحة الشرعية -وليس الهوى- تقتضي أن يتفرقا فليتفرقا</u>، ولما يتفرق يطمئن الإنسان أن هذه الفرقة لن تؤثر على حاله، بل رب العالمين يخبرنا عن عموم ملكه العظيم الواسع لأن ربنا يقول " {وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا} و {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}؛ ملك واسع عظيم وهو يدبره بجميع أنواع التدبير، ويصرفه بجميع أنواع التصريف. فماذا تظن في الواسع العليم الحكيم؟ ماذا تظن به؟ كيف سيدبر لك أموراً عظيمة ما تخطر على بالك؟

ولذلك يأتي في الآية التي بعدها ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ يتكرر معنى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. ولذلك فليتصور المؤمن عظمة الله وليصدّق بها، **وليكن مطمئناً على أن الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض قادرعلى أن يغني كل أحد من سعته**؛ فلتُمجّده ولتعظمه ولتذكر رب العالمين في كل مضائقك. لكن يجب أن تكون أنت في حالك نفسها على حال تصلح فيها أن تكون ولياً لله، تصلح فيها أن تكون ذاك العبد الذي يصنع الله له ويحيطه برحمته وعنايته: "مَن تقرب إلي شبراً تقربت اليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إلي باعاً، وإن جاءني يمشي جئته هرولة، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه". ومن تقرَّبَ إليَّ شبرًا تقربْتُ منه ذراعًا ومن تقرَّبَ إلي ذراعًا تقربتُ منه باعًا ، ومن أتاني يمشي أتيتُه هرولةً، ولذلك ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ اتقوا الله؛ إذا اتقيتم الله وجدتم خيراً كثيراً. أما يذكركم رب العالمين وينبهكم ويعلمكم ويفقهكم ثم تعودون؟ ويصيبكم بالبأساء والضراء لينبهكم ثم تعودون على ما كنتم؟ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف ٩٤] ؛ لكن كما سمعنا في الأنعام: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام ٤٣] لما قست قلوبهم، في آية الأعراف ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا..﴾ [الأعراف ٩٥] ؛ تصوري حتى عفوا يعني بمعنى أنهم كثروا، كثرت أرزاقهم وانبسطوا في نعمة الله ونسوا ما مر عليهم من البلاء. طيب كيف يفسرون البلاء؟ ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف ٩٥] يعني هذه عادة جارية الدنيا كذا؛

مرة سراء ومرة ضراء، مرة فرح ومرة ترح، وأن هذه الدنيا تتقلب. وما يفكرون بالطريقة السليمة أن ربنا يدبر هذه التدبيرات موعظة وتذكيراً، وأنه لما أعطاهم إنما كان هذا استدراجاً ونكيراً ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ [الأنعام ٤٤] وقتها أخذهم الله بغتة.

فلله ما في السماوات وما في الأرض إذا ما اتقيت: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء ١٣١] الأمر الآخر ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ مثل ما ذكرنا هنا في سورة الأعراف وفي سورة الأنعام يذكرهم الله بالبأساء والضراء ويدبرهم من أجل أن يعودوا؛ لا، ما يستجيبوا، تقسوا قلوبهم. ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ -وهذا والعياذ بالله الكفر الأكبر أو كفر النعمة- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء ١٣١] ، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ، ليس محتاجاً إليكم ولا إلى تقواكم، لكن التقوى هذه لصلاح أنفسكم. وهذه مثل آية الزمر: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر ٧] خلاص، ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ؛ ليس متضرراً بعصيان من يعصونه، ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني أن الله غني عنكم. وأكّد هذا: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ؛ غنياً عن طاعاتكم، محموداً بكل لسان،

محمود سبحانه وتعالى لكماله وعظمته، أطاعه من أطاعه وكفر من كفر، سواء حمده الحامدون وأطاعوه أم كفروا وعصوه.

فإذاً، الله سيغنيك من سعته وسيكفيك ما أهمك، وكيف؟ الله أعلم. لكن لله ما في السماوات وما في الأرض فهو يدبر الأمور، ولا تسأل كيف ومتى والساعة كم: لا، هذا وقت ما يشاء رب العالمين، يأتي غداً، يأتي بعد عام، يأتي بعد سنين، الله أعلم. ثم يعاد علينا هذا الأمر المرة الثالثة: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا}، سبحان الله! ما أعظم هذا المعنى! يعني تكرر جملة "ولله ما في السماوات وما في الأرض" هنا ثلاث مرات متتالية بنفس اللفظ سبحان الله، لكنها مختلفة الأغراض، وبعد ذلك ستأتي مرة رابعة أيضاً في آية (١٢٦): {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا} [النساء ١٢٦]. فإذاً تكررت أربع مرات في كلام متسق.

<u>نتصورهذه الثلاث مرات:</u>

١. لما قال لنا {وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ}، قال لنا: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}
٢. لما قال لنا {وَإِنْ تَكْفُرُوا} -يعني إذا قست قلوبكم ووعظكم وما اعتنيتم- قال لنا {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}؛ كما فهمناها، فإن تكفروا فإن الله

غني عن تقواكم وإيمانكم فإن له ما في السماوات وما في الأرض، والله موصوف بصفة ثابتة أنه غني حميد.

٣. تأتي هذه المرة الرابعة (وهي الثالثة بالنسبة لنا في هذا السياق): {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} سبحان الله! ما أعظم هذا المعنى!

يعني الله واسع القدرة والعلم والجود والفضل والرحمة، وانظر إلى آثار ذلك في كل ما في السماوات وما في الأرض. **فلما تكتفي به وكيلاً فأنت قد اكتفيت بوكالة مَن بيده ما في السماوات وما في الأرض؛ عالم قائم بتدبير الأشياء على وجه الحكمة. فما أطيب توكيله على نفسك!** أخبرك عن نفسه؛ الوكالة تستلزم العلم بما هو وكيل عليه، والقوة والقدرة على تنفيذه والتدبير، وأن يكون هذا التدبير على وجه المصلحة والحكمة. والله تعالى له الكمال المطلق في ذلك، كل شيء بيده سبحانه وتعالى، كل شيء بيده ملك له يصرفه على حكمته. ولذلك أنت تندهش لما تسمع أنه "ما من ورقة" -تصور إنسان عنده حديقة عنده مزرعة ولا حتى عنده نباتات في بيته أوراقها تسقط- فتصور أنه {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا} [الأنعام ٥٩] حبة واحدة، {وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} يا عظمة رب العالمين! كل شيء ملكه سبحانه وتعالى، يعلم كل شيء، علمه محيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، ويدبر كل شيء.

سبحان الله لما نقرأ مثلاً في أوائل سورة الرعد عما يدل على أن كل شيء تحت تدبيره، تحت سلطانه عز وجل، وتسمعي: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ

{لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} [الرعد ٢]. بعدين مباشرة يأتينا مثل {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} [الرعد ٣] ، أشار إلى الثمرات إلى أن تصلي أنه كيف في الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل، ووصف هذا النخيل أنه أنواع، لكن هذا التنوع كله تخيلي تدبير الله الآن كله يسقى بماء واحد، {يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ} ثم {وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ} [الرعد ٤] نعم وهذا من العجائب؛ كلمة {يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ} تحمل من الإشارة إلى تدبير الله ما يحتاج إلى كثير من التأمل. كيف يسقى من ماء واحد ويطلع نتائج مختلفة؟ نعم، ولذلك لما نأتي للماء -ويأتون في العلوم يجردونها من معاني ودلائل العظمة ويجعلونها مجرد معلومة- نأتي إلى الماء ونقول: لا لون له ولا رائحة. ما دلالة هذا؟ دلالته عظيمة؛ دلالة هذه الجملة أنه كله يسقى بماء واحد لكن {وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ}، يتغير في الأكل طعمه مختلف، هذا أطعم هذا أقل، رغم أنه يسقى بماء واحد. نعم، لأن صفة الماء نفسه لا لون لها ولا رائحة؛ الماء ليس له لون ولا رائحة لأنه الماء لو كان له لون كان كل ما سقي به أخذ هذا اللون، إن كان له رائحة كان كل ما سقي به أخذ هذه الرائحة. لكن لا لون له ولا رائحة ويكون هو عماد الحياة. ونفكر في هذا؛ لو الآن الناس مائهم له لون أو رائحة وطبخوا كل الطبخات ستكون نفس الشيء، وكل النباتات ستكون نفس الطعم ونفس الرائحة. **لكن لا لون له ولا رائحة لكي تعرف أن الذي يدبرك سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة في كل شيء.**

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [النساء ١٣٢] **ملكاً وتدبيراً**، إذاً {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} عز وجل.

{وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}، اكتفينا يا رب العالمين، نحن بك مكتفون وعلى شؤوننا جميعها موكلونك يا رب العالمين، فكفى. و{وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}

دعونا نذهب إلى آية (١٧١) التي هي الموطن الأخير في {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} نعم اقرأ الآية:

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء ١٧١] هذا السياق فيه معنى يحتاج أن يؤكد على عقيدتنا: أن له ما في السماوات وما في الأرض {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}، السياق عن عيسى عليه السلام إلى أن نصل هنا، أن الله ينهاهم عن الغلو في الدين والقول على الله بغير حق، ويبين لهم العقيدة السليمة في المسيح عليه السلام وأنه رسول من عند رب العالمين، وأنه خلق بالكلمة **"كن فيكون"**. فأمرهم بالإيمان بالله وبالرسل ونهاهم عن أن يدّعوا هذه الكذبة العظيمة التي تكاد السماوات يتفطرن منها؛ " وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ " ويأمرهم بالتوحيد {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا

الحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}

{إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ} سبحانه، ثم يعجبهم من هذه الدعوى لأن المقام عظيم فكررّ عليهم رب العالمين كل المعاني التي تحيط بهذه الكذبة الكبيرة. {إِنَّمَا} نعم قال لهم {ٱنتَهُواْ} عن التثليث الذي نسبتوه إلى الله وهذا سيكون هذا الانتهاء خيراً لكم، وبيّن لهم حصر الألوهية فيه عز وجل أنه إله واحد، ونزّه نفسه عزّ وجل عن أن يكون له ولد كما قالت النصارى. ثم تأكيداً لهذا المعنى كله، بيّن عز وجل استغناءه؛ كيف الولد يحتاجه الخلق، أمّاالخالق فله ما في السماوات وما في الأرض خلقاً وملكا وتدبيراً، فكيف تعتقدون أنه يحتاج شيئاً؟ عيسى عليه السلام ممن خلقهم في السماوات والأرض، وكلهم محتاجون إلى رب العالمين، فهو سبحانه وتعالى الذي خلق هذا الخلق وهو الذي يدبره ولا أحد يدبر هذا الخلق، بل {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}، كفى به وكيلاً يدبر شؤون الخلق جميعاً؛ فلا عيسى ابن مريم عليهما السلام ولا غيره من الخلق لهم قدرة لا على الخلق ولا على التدبير. {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}، يحفظ ما في السماوات وما في الأرض، ويرزق ما في السماوات وما في الأرض، ويدبر ما في السماوات وما في الأرض، ويستجيب سؤال مَن في السماوات وما في الأرض، فهو يكفي كل أحد في السماوات والأرض؛ فاكتفوا به وتوكلوا عليه ولا تتوكلوا لا على أنفسكم ولا على غيركم من الخلق لمثلكم. {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} لكم، وكلوه أمركم ولا

تلتفتوا إلى غيره. فهنا التركيز في أذهاننا على أننا نتصور **أن الاعتماد القلبي يجب أن يكون لله، فهو حق لله وحده؛ له ما في السماوات وما في الأرض كلٌ له عبيد، فكيف تعتمدون على العبيد ولا تعتمدون على رب العبيد؟** ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ إليه يكل الخلق أمورهم وهو غني عنهم. اتركوا عنكم العاجزين المحتاجين في تدبير أمورهم إلى مَن يخلفهم ومن يقوم مقامهم، واجمعوا قلوبكم على مَن بيده كل شيء.

وهكذا نتصور في هذا السياق أن أحد المشاكل التي تسبب الاعتماد على غير الله هو الغلو. ولا تتصوري أن الغلو مصطلح يكون في شيء من الدين فقط؛ لا، حتى الغلو في شؤون الدنيا؛ يشعر الإنسان أنه ما دام معه كذا وكذا من الأمور إذاً هو في حمى، أو مثلاً يشعر أنه ما دام هو يأكل أكلاً صحياً مثلاً إذاً لا تأتيه الأمراض. هذا الكلام ما في معارضة للسبب، خذ السبب كل أكلاً صحياً، لكن اعتبره سبباً، لا تغلُ فيه، لا تعتمد عليه، لا ترى وجوده حلاً لكل مشاكلك ولضمان صحتك. وبهذا نفكر في كل شيء؛ كن حذراً من الغلو، كن حذراً من تعظيم شيء وتفخيمه، كن حذراً حتى من الأسباب أن تعظمها وتطمئن لها. لا، الأسباب لا تعظمها ولا تطمئن لها أبداً، وإنما اعتمادك التامّ على رب العالمين، اعتمادك التام أنه هو يمدّك بالسبب، ينفعك بالسبب، يعطيك نتائج السبب. **لا تجعل السبب هو مكان اعتمادك القلبي**؛ ولذلك ما أخطر الغلو في أي شيء على عقيدة الإنسان.

إن شاء الله يكون هذه المعاني ظهرت. دعونا نرجع للموطن الذي فيه الكلام عن ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ نحن مرّ معنا أنه ورد ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ، وهذا الموطن الثاني

{وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} التي هي آية ١٦٦. طيب، هذه الآية نحتاج نقرأ فيها من أول السياق، يعني من آية (١٦٣). نعم تفضل:

{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}..

هنا نعود إلى معنى مهم وأساسي في شعورنا بالكفاية؛ نحن منذ أن بدأنا هذه اللقاءات كنا نؤكد أن النفس تسكن لما تأخذ المنهج من الوحي، لأن النفس هذه الروح سر ما نعرف ما الذي يطمئنها، ما نعرف ما الذي يزعجها، ما نعرف ما الذي يخوفها، ما نعرف كيف تنقلب علينا. فمن أول الأشياء التي يجب أن تبقى في ذهننا هي الثقة في هذا الوحي، الثقة في الوحي التي تجعلنا نصل إلى الشعور بالطمأنينة أن ربنا وعدنا ولن يخلف الله وعده، ربنا حدثنا بكذا ولن يخلف الله ، لله حدثنا وكل ما حدثنا الله به صدق. الله أخبرنا بكذا وكل الأخبار صدق؛ ولذلك أنت تستعجبين جداً من موطن مأمورين أن نقول "صدق الله!"، نعم عليك أن تشعر أنه صدق الله. لقد صدقك في إرسال الرسول وفي إنزال الكتاب وفي إرشادك لكل ما ينفعك، فلا

تظن أن شيئاً مما أخبرك الله به ووصل إليك عن طريق رسوله أنه سيضرك؛ لا والله.

ولذلك في آل عمران رب العالمين يقول: {قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران ٩٥]، وكنا سمعنا أنه في آية الأحزاب كما تناقشنا: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب ٢٢] فما جاء به الرسول اطمئن له غاية الطمأنينة، وانفعل معه انفعال من يصدق، وتعامل معه تعامل "المؤمن المُأمن "الرسول" على الأخبار التي جاء بها، لا ننسى هذا المعنى. النبي صلى الله عليه وسلم قد صدقهم في الخبر والمؤمنون كانوا يصدقونه، والله أعان أهل الإيمان كلهم على أن يصدقوا الرسول؛ كيف أعانهم؟ هنا هذا معنى {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}..

نحن الآن لما نصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم نقول: نحن مطمئنون يا رب العالمين، مطمئنون على أن رسولنا الكريم أتى بالحق. لأن الإيمان هو أن "**تستأمن المخبر على شيء غاب عنك**"، فنحن مؤمنو رسولنا الكريم ونثني عليه ونصلي ونسلم عليه. والله أعاننا على ذلك، كيف أعاننا على ذلك؟

الله يشهد، كما نسمع هنا في هذه الآية وشهادة الله كافية.

كيف شهد؟ شهد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، شهد الله لرسوله بطرق: "لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة أيضاً يشهدون" يعني أن هذا الذي

أوصله لكم الرسول صلى الله عليه وسلم إنما نزل بعلم الله والنبي صلى الله عليه وسلم ليس له في ذلك إلا النقل. والله شهد وكفى بشهادة الله.

من الشهادة كل ما نراه فيما يسمونه "دلائل النبوة"، كل ما نعتبره دلائل النبوة سواء التي كانت حسية وشاهدتها قريش من انشقاق القمر، ومن وصفه لبيت المقدس وهو لم يذهب إليه، ومن تسليم الحجر، ومن تسبيح الحجر بين الحصى بين يديه، ومن حنين الجذع، ومن كل ما رآه مَن كان معه صلى الله عليه وسلم في زمانه، أو الآية العظيمة "القرآن"؛ كل هذا يشهد بصحة ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. فالله يريد منا أن تسكن أنفسنا لأن أحد أهم أوجه الاضطراب التي يمكن أن تحصل للنفس هو الاضطراب في العقيدة، الاضطراب في العقيدة هذه أحد المناطق الحرجة الصعبة الخطيرة.

ولذلك لما إبراهيم عليه السلام ناظر قومه وفي موقف الكواكب وخوفوه، خوفوه بآلهتهم وأنها تفعل وتفعل، فرب العالمين أخبرنا أنه هو يقول لهم: {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنعام ٨١] هذا الأمن النفسي، لأنه هو كان يقول لهم، يقول لهم ، {لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} [الأنعام ٧٦]يكرر عليهم؛ كيف لا أقدر أطمئن، لا أستطيع أن أطمئن ومن أريد أن أعتمد عليه وأكتفي به يأفل ويغيب؟ ما أستطيع أن أطمئن، نفسي لا تحب مَن يأفل ويغيب. فمن أجل ذلك يقول لهم: {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنعام ٨١] فيفصل لنا رب العالمين: {الَّذِينَ آمَنُوا} صدّقوا وائتمنوا من ظهرت عليهم دلائل الصدق {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام ٨٢] ؛ ما حصل في هذا الإيمان أي ملابسة ولا مقاربة بالظلم لا بشرك ولا بمعاصٍ، {أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام ٨٢] هنا يحصل الأمن والسكينة، وعلى قدر الإيمان وترك الظلم يكون قدر الأمن والاهتداء.

فالنفوس ترغب في الأمن، ترغب في السكينة، ترغب في الطمأنينة؛ لكنها لا تأتي إلا بعقيدة سليمة، لا تأتي إلا لمن يطمئن الإنسان إلى مَن أتى له بالأخبار التي تغيب عنه، استأمن المخبر، ولذلك هناك لما رب العالمين قال لنا: {يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ} [التوبة ٩٤] ؛ هذا في سورة التوبة، لما تخلفوا عن الغزو وبدأوا يعتذرون للنبي صلى الله عليه وسلم، كان النبي صلى الله عليه وسلم يصدقهم والمؤمنون يصدقونهم. هم يقولون لهم أخباراً عن أنفسهم؛ أننا مريضون، أننا كذا، أننا كذا، وخلاص أخبروهم فهم يصدقونهم. فنزلت الآية: {يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ؛ يعني كنا فيما سبق نأتمنكم على ما تقولون، لكن رب العالمين أخبرنا بحقيقتكم فلن نأتمنكم.

فالغيب كله غائب عنا، جاءنا رسول الله وأخبرنا عن الغيب؛ قال تنتظركم الجنة إذا فعلتم كذا وفعلتم كذا، "والجنة حُفت بالمكاره" فلا تقلق لما ترى المكاره، خليك

عارف أن هذه المكاره طبيعية، أنت هنا في الدنيا في ابتلاء. "والنار حُفت بالشهوات" فالناس الذين يأتون الشهوات لا تقل هم عندهم أنا ليس عندي، لا تقل إنهم {ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت ٣٥] هل أنت مطمئن لهذا التفسير للواقع؟ ربنا يطمئنك، يشهد لرسوله أنه على حق، وكل زمن يأتي بشهادات جديدة، وكل زمن يبين لنا ربنا شهادة جديدة أن ما أتى به النبي صدق. فنحن نستأمنه ونأخذ ما أتى به ونقبل عليه ونصلي ونسلم عليه صلى الله عليه وسلم، **ونحن في غاية السكون والأمن لأننا نعلم صدقه صلى الله عليه وسلم ونكتفي بشهادة الله.** {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} [النساء ١٦٦] سبحانه وتعالى.

الله عز وجل أراد منا **كما أخبرنا في كتابه أن نكتفي بشهادته وولايته ونصرته وكفايته.** هذا ليس فقط على أعدائنا من الإنس ولا على حاجاتنا من الدنيا، بل حتى على أعدائنا من الشياطين. ولذلك هنا سننتقل في آخر موطن نناقشه إلى آية الإسراء، ننتقل إلى آية الإسراء آية (٦٥) هذا الموطن، لكن سنبدأ نقرأ من أول السياق. أول السياق يبدأ بآية (٦١):

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا

يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا} [الإسراء ٦١-٦٥]

{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا}، يا لهذه البشرى لأهل الإيمان! كن من عباد الله المقبلين على الله المكتفين بالله الذين وكلوا الله شأنهم؛ لن يكون للشيطان عليك سلطان، فالله يعصمك ويحفظك من الشيطان، **سيكون بينك وبين الشيطان حائل على قدر تحقيقك للعبودية. وكن مطمئناً أنه لو حققت العبودية سيكفيك رب العالمين** {وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا} توكلوا على الله واستعيذوا به من الشيطان فهو خير وكيل.

ولذلك يقال لأهل الإيمان: اعزموا على أنفسكم وألزموها، ألزموها الطاعة والاستعاذة وادفعوا عنكم وساوس الشيطان بالتوكل على الرحمن.

نسأل الله بمنه وكرمه أن نكون ممن اطمأنت نفوسهم للوحي وصدقوا رسولهم ووكلوا ربهم واكتفوا بوكالته وبولايته وبنصرته وبشهادته سبحانه وتعالى.

سكون النفس مطلب تريده الشريعة؛ تريد أن تكون مطمئناً آمناً، لن يتحصل هذا إلا بالإقبال على الوحي والنزع منه وإملاء القلب بهذه المفاهيم وتحويلها إلى عقيدة تتأوّل بها كلام الله عزوجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العالمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.